التناص في الثقافة العربية المعاصرة
دراسة تأصيلية في ببليوجرافيا المصطلح

الدكتور/ إبراهيم عبد الفتاح رمضان
(الباحث من جمهورية مصر العربية)
قسم اللغة العربية
كلية الآداب – جامعة المنوفية

ملخص بحث التناص

مع انفتاح النقد العربي على الثقافة الغربية وفدت إلينا مناهج نقدية عديدة وأدوات إجرائية مختلفة تحاول إضاءة النص الأدبي وتحليله ، وكان من المناهج التي وفدت إلى ثقافتنا العربية منهج التناص، ويكاد النقاد يجمعون على أن صاحبة ابتداع هذا المصطلح هي البلغارية جوليا كريستيفا في دراساتها النقدية بين سنتي 1965 ، 1967م، لكنها أشارت إلى أن صاحب الفضل في وجود الظاهرة هو ميخائيل باختين في مجموعة من كتبه .

ومع دخول هذا المصطلح إلى الأراضي العربية تلقفته أيادي النقاد العرب درسا نظريا وتطبيقا فنشأ عندنا تراث ضخم من المؤلفات العربية في التناص، فأردت أن أسهم بدراسة تستعرض ما أنجز في هذا المجال وقد جعلت عنوان هذه الدراسة : التناص في الثقافة العربية المعاصرة : دراسة تأصيلية في ببليوجرافيا المصطلح. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج في أربعة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد تتبعها خاتمة. وقد اشتمل التمهيد على عدة نقاط هي : التناص مفهوما. الجذور الأولى لنشأة المصطلح . ولادة المصطلح على يد كريستيفا .. تحول المصطلح إلى منهج . نزوح المصطلح إلى الأراضي العربية. أما المبحث الأول فهو : اتجاهات معالجة التناص عند النقاد العرب المعاصرين ، وقد استطعنا تمييز ثلاثة اتجاهات أصلية في تناول منهج التناص تمثلت فيما يأتي : من جعل التراث منطلقا لدراسة النص فأحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها مفاهيم النظرية الغربية . ومن دخل إلى النظرية الغربية فقصر عمله النقدي عليها في الغرب ، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما قد يكون موجودا من التشابه بينها وبين بعض المصطلحات العربية . ومن اختط منهجا ثالثا

هو : الجمع بين الترجمة عن التناص مع إقامة دراسات حوله . وقد دار كل منهج من المناهج السابقة حول أحد محورين : الأول نظري والثاني تطبيقي . وأما المبحث الثاني فحمل عنوان : خصائص التأليف في التناص في العربية ، والمطلع على هذا المبحث يستطيع تمييز عدة خصائص تميز بها التأليف في التناص. وفي المبحث الثالث الذي عنوانه : التناص بين الشعر والرواية كان الحديث عن قضية الأجناس الأدبية وعلاقة التناص بها هي ما يهمنا الحديث عنه في هذا المبحث . وفي المبحث الرابع جعلنا العنوان : التناص في النقد العربي المعاصر من التعريب إلى التوطين : رؤية تقويمية.

Abstract:

Entertextuality in Contemporary Arabic Culture. Bibliographic study.

Dr. Ibrahim Ramadan
Arabic Studies Dept. College of Art،
Mounofeya University, Egypt.

During the opining time to the western culture، several criticizing methods had entered the Arabic world to criticize the literature texts. One of this، is the entertextuality، which is a new method in the western world too.

This paper is a bibliographic study of what has been written about the Entertextuality in contemporary Arabic Culture، such as; The concept of entertextuality، How and when it entered the Arab world، Ways and styles of using entertextuality by Arab analyst to criticize and analyze the Arabic work which can be categorized in three styles; making the old traditional Arabic concepts as a base of entertextuality، second; making the western concepts as a base of entertextuality، third; combining between the two styles، Old Arabic and western.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين وآله وأصحابه أجمعين.

وبعد ...

فمع انفتاح النقد العربي على الثقافة الغربية ومواكبة كل ما هو جديد لديها وفدت إلينا مناهج نقدية عديدة وأدوات إجرائية مختلفة كلها تحاول إضاءة النص الأدبي وتحليله ، وكان من المناهج التي وفدت إلى ثقافتنا العربية منهج التناص ، ويكاد النقاد يجمعون على أن صاحبة ابتداع هذا المصطلح هي البلغارية جوليا كريستيفا في دراساتها النقدية بين سنتي 1965 ، 1967م ، ولكنها أشارت إلى أن صاحب الفضل في وجود الظاهرة هو ميخائيل باختين في مجموعة من كتبه .

ومع دخول هذا المصطلح إلى الأراضي العربية تلقفته أيادي النقاد العرب درسا نظريا وتطبيقا فنشأ عندنا تراث ضخم من المؤلفات العربية في التناص – وما زالت القرائح تجود بما هو مفيد في هذا المجال – فأردت أن أسهم بدراسة تستعرض ما أنجز في هذا المجال المنهج وقد جعلت عنوان هذه الدراسة :

التناص في الثقافة العربية المعاصرة : دراسة تأصيلية في ببليوجرافيا المصطلح

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج في أربعة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد تتبعها خاتمة .

وقد اشتمل **التمهيد** على عدة نقاط هي : التناص مفهوما الجذور الأولى لنشأة المصطلح . ولادة المصطلح على يد كريستيفا .. تحول المصطلح إلى منهج . نزوح المصطلح إلى الأراضي العربية.

أما **المبحث الأول** فهو : **اتجاهات معالجة التناص عند النقاد العرب المعاصرين** ، وقد استطعنا تمييز ثلاثة اتجاهات أصلية في تناول منهج التناص تمثلت فيما يأتي :

1. من جعل التراث منطلقا لدراسة النص فأحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها مفاهيم النظرية الغربية .

2. من دخل إلى النظرية الغربية فقصر عمله النقدي عليها في الغرب ، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما قد يكون موجودا من التشابه بينها وبين بعض المصطلحات العربية .

3. من اختط منهجا ثالثا هو : الجمع بين الترجمة عن التناص مع إقامة دراسات حوله. وقد دار كل منهج من المناهج السابقة حول أحد محورين : الأول نظري والثاني تطبيقي .

وأما **المبحث الثاني** فحمل عنوان : **خصائص التأليف في التناص في العربية** ، والمطلع على هذا المبحث يستطيع تمييز عدة خصائص لعل أهمها : تميز الفترة الأولى من التأليف في التناص بأنها مرحلة صراع لامتلاك المصطلحات وترجمتها أكثر من إرادة البحث عما بين هذه المصطلحات الجديدة وبين تراثنا من وشيجة . كذلك نستطيع تمييز خصيصة أخرى هي : أن الدارسين المغاربة كانوا أسرع من الشرقيين في التواصل مع المناهج الغربية ومنها التناص ويعود ذلك التواصل السريع إلى الاهتمام المغربي بكل ما هو جديد في الثقافة الغربية . كما أننا أشرنا إلى خصيصة ثالثة برزت في الآونة الأخيرة وهي : أن الدراسات النظرية في موضوع التناص اتسمت بالاجترار والتكرار ؛ فمع مرور الزمن استهلك الجانب النظري

للتناص حيث قام أوائل النقاد العرب المحدثين بالنقل عن الغربيين فيه ، وتكرر عند كل من كتب في التناص أن يتناول التناص عند الغربيين ، ثم عند العرب قدماء ومحدثين ، وصار ذلك سمة في كتب التناص كلها أو على الأقل معظمها في الجانب النظري .

وفي **المبحث الثالث** الذي عنوانه : **التناص بين الشعر والرواية** كان الحديث عن قضية الأجناس الأدبية وعلاقة التناص بها هي ما يهمنا الحديث عنه في هذا المبحث غير أننا قدمنا بمقدمة عن الأجناس الأدبية وما بينها من اتصال وانفصال ، وهل هناك ما صار يعبر عنه بتداخل الأجناس الأدبية ، وقد تحدثنا عن قضية التداخل في التراث وصولا إلى العصر الحديث ، ثم إننا أشرنا إلى أن بين الأجناس الأدبية يثير أسئلة عديدة منها : ألا يمثل التداخل نوعا من التعالي النصي ؟ ألا يخلق التداخل نوعا من التهجين الإستطيقي و التناصي ؟ ألا يعمل هذا التداخل على اكتساب خصائص شكلية وبنيوية جديدة ؟ ألا يعمل النص الهجين على كسر مألوفية النص الموروث ؟ ألا يهدد هذا التداخل التلقي وأشكاله ؟ ... إلى آخر الأسئلة التي تثار من جراء تداخل الأجناس الأدبية ، ثم إننا طرحنا سؤالا آخر في قضية الأجناس الأدبية مؤداه : أي الأجناس أولى بقضية التناص أو بلفظ آخر أي الأجناس يتبدى فيه التناص أكثر من الأجناس الأخرى ؟

وفي **المبحث الرابع** جعلنا العنوان : **التناص في النقد العربي المعاصر من التعريب إلى التوطين : رؤية تقويمية**. وقد قدمت للمبحث بمقدمة عن محاولة توطين النظريات الجديدة في النقد العربي المعاصر

وأشرت إلى أن ثمة سؤالا يطرح نفسه على المثقفين والنقاد مؤداه : إلى أي حد استطاعت النظريات الغربية أن تنال إقامة في بلادنا العربية ؟ وهل نستطيع أن

نمنحها شهادة جنسية (أو صفة مواطنة) حتى تصير منا أم أنها ستظل غريبة مطاردة في بلادنا تجد من يحسن إليها والأغلبية تدفعها وتقهرها وتنهرها ؟ تحت زعم أنها غريبة تبقينا في دوامة الثنائيات القاسية : كالأصالة والمعاصرة والهوية والهيمنة وغيرها .

وقد أثبتت دراستنا للتناص عدة قضايا تقويمية منها : أنه كان من نتائج اطلاع النقاد العرب على منهج التناص مناقشة حقول عربية قديمة بأدوات جديدة فهناك بعض المفاهيم التي رأى النقاد أنها تتقارب بصورة ما مع حقل التناص متوسلين بمصطلحات النقد الحديث ليبدو المفهوم أكثر ملاءمة لتحقيق شعرية النص كقضية السرقات الأدبية والمعارضات الشعرية والاقتباس والتضمين وغيرها. كذلك وجدنا أمرا مهما من خلال دراستنا يتلخص في أن بعض الباحثين العرب قد عمل على تطوير المفهوم وإغنائه وقد كان د/ محمد مفتاح من أكثر الدارسين عملا على تطوير مفهوم التناص في كتبه وكذلك سعيد يقطين وبشير القمري وغيرهم . وقد ظهرت إشكالية في توطين التناص تدور حول صعوبة الكشف عن أشكال التناص في نصوص الشاعر – سواء منها ما كان خفيا أو ظاهرا – لأن ذلك يتطلب معرفة بجميع المرجعيات النصية وغير النصية التي تستدعيها تجربة الشاعر أو تمتصها في نسيج بنيتها أو تحيل إليها في سياق الرؤية الشعرية والجمالية التي تقدمها تجربته على مستوى علاقته مع ذاته أو العالم المحيط به أو الأشياء التي يتعامل معها . كذلك كان ينبغي التنبيه إلى إشكالية أخرى عن توطين التناص تتمثل في بعض المحاذير الشرعية كقضية موت المؤلف وتساوي الخطابات ونبذ الماورائيات الذي تنبني عليه الثقافة الغربية.

ثم إنني ختمت بحثي بخاتمة احتوت على نتائج ظهرت لي من خلال دراسة بحث التناص ثم ذكرت المصادر والمراجع التي أفدت منها في بحثي ثم وضعت فهرسا للموضوعات .

وهذا جهدي لم أبخل بوقت ولا جهد فإن أحسنت فالحمد لله الذي وفقني للإحسان وإن كانت الأخرى فذاك طبع الإنسان وأستغفر الله .

ولله الحمد أولا وآخرا

د / إبراهيم عبد الفتاح

التمهيد

التناص مفهوما :

التناص تفاعل من نصص ، ونظرا لارتباط التناص بالنص من حيث الاشتقاق فإننا لابد أن نذكر تعريف النص ، والنصُ في اللغة : معناهُ : الرفع البالغ، ونصَّ الشيءَ ينُصُّهُ نَصًّا : رفعهُ وأظهرهُ . ونصَّ المتاع : جعل بعضهُ فوق بعض ، ومنه سميت المنصة منصةً لعلوها . و قد وردت كلمة التناص في المراجع القديمة بمعنى : الاتصال ، وبمعنى : الازدحام ، وبمعنى الظهور والبروز ، وبمعنى : الجمع والتراكم ، وبمعنى :الاستقصاء ، وبمعنى : التحريك والخلخلة (1)، وبمعنى :

(1) لسان العرب مادة (نصص) فابن منظور يعرف النص فيقول : " النص: رفعك الشيء، ونص الحديث لينصه نصاً : رفعه. وكل ما أظهر ، فقد نُصّ . قال (عمرو بن دينار) : ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الزهري أي : أرفع له وأسند . يقال نص الحديث إلى فلان أي : رفعه . أما الفقهاء فقد أرجعوه إلى " نصَّ القرآن ونص السنة أي : ما دل ظاهر لفظها عليه من الأحكام . وعرفه الفيروزبادي في القاموس المحيط فقال إنه : " من نص الشيء : رفعه وسمى به لأنه مرفوع الرتبة على غيره ". أما مفردة تناص مرتبطة بالقوم فـ (تناصَّ القوم : ازدحموا) ، ومن صيغه : (تناصص) وهو " مصدر الفعل على زنة (تفاعل) تأتي من اثنين أو أكثر " ؛ وهو" مصدر صناعي للفعل (نص) على زنة تفاعلية ، وإجراؤها على هذا الوزن صحيح ، ويستند إلى قياس وزني وإجرائي واضح في العربية . لكننا نشير إلى أن التفسيرات المعجمية اللفظية – التي قدمنا نموذجا منها عند ابن منظور– تؤكد أن معنى النص بقي محصورا في الدلالة على الكتاب والسنة، بالإضافة إلى دلالات أخرى ، مثل " نص الشيء : رفعه وأظهره ، وإذا كان حديثا أسنده إلى قائله ، ونص الناقة استحثها بشدة ، والشيء حرّكه... كما في لسان العرب .

الانقباض والازدحام ، و هو بهذا المعنى يقترب من التناص بمفهومه الحديث الذي يُشير إلى تداخل النصوص فيما بينها.

ومن خلال النظر في هذه المراجع القديمة يمكننا أن نستخلص للتناص جملة من الدلالات – في مادته اللغوية – نلخصها فيما يلي:

أ- معنى الازدحام : في تناص القوم عند اجتماعهم أي ازدحموا.

ب- معنى الظهور والبروز : كقولهم نصّت الظبية جيدها إذا رفعته وأظهرته... ، ونصّ فلان الحديث أي : رفعه إلى راويه ليظهر سنده ، ومنه قولنا : "نصّت الماشطة العروس إذا أقعدتها على المنصة حتى تظهر بين النساء ، وتبرز للعيان".

ج- الجمع والتراكم : في قولهم : "نصّ المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض" .

د- الاستقصاء : في قولهم : ناصصت الرجل : إذا استقصيت مسألته لاستخراج كل ما عنده .

هـ- التحريك والخلخلة : نص الرجل الشيء نصّا : إذا حرّكه وقلقله وخلخله ؛ يقول أبو عبيدة : النص هو التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها ، أو أقصى ما تقدر .

وإذا حاولنا استلهام الدلالات الخمسة السابقة وطبقناها على مفهوم النص القائم على جملة من الخصائص تحكمه من الخارج ومن الداخل. فالنص من وجهة النظر هذه ، يبدو كمولود جديد لا يتحقق وجوده إلا بالتّلاقي والانضمام. فالنص إذًا هو ما تراكبت مواده ، وتعالقت نصوصه ، فإذا هو قابل للامتلاء بالآخر كما هو قابل للتفريغ عن طريق الآخر.

فالنص إذن : إظهار وافتضاح ، وكشف للمستور ؛ إنه انتقال من حالة الإضمار ، والكتمان إلى حالة البوح والتصريح ، فالنص قبل الكتابة أو الإنشاد يكون سرا لا يعرفه إلا الناص ، لكن بمجرد أن يخرج النص إلى الوجود ، ويسمى (قصة ، أو شعرا ، أو رواية...) يفتقد صاحبه صفة التفرد بمعرفة السر . والنص إذ ينفصل عن صاحبه يصبح في غاية الفضيحة والظهور والشهرة ، ويتخذ له موقعا (منصة) ما بين النصوص الأخرى التي من جنسه ليرى ، أو ليسمع أو يتلمس بأصابع اليد . "والنص : التعيين على شيء ما ، وكل ذلك مجاز من النص بمعنى : الرفع والظهور"

النص: الدليل: جاء في تاج العروس : (وكذا نص الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز كما يظهر عند التأمل . فالنص من هذا المنظور حجة ودليل ، وهو أثر من آثار الناص الدالة عليه ، ومستودع أفكاره . والنص اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره . ومنه قول الفقهاء كما جاء في لسان العرب : " نص القرآن ، ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام "

فمصطلح (النص) الذي توجه إليه الاهتمام النقدي المعاصر الذي يعني استحضار نص ما لنص آخر ، قد يمحض التقاطع أو التداخل بين النصوص ليكون صادرا عن رغبة ذاتية في المشاركة والتلاقي، ويحدث عبر ممارسات متكررة قائمة أساسا على التراكم والتدريج . فالأنا الكاتب كما يقول صبري حافظ "هي مجموعة من النصوص ضاعت مصادرها"(2). فالنص بهذا المعنى يقوم على التداخل

(2) التناص وإشاريات العمل الأدبي ، حافظ (صبري) ، مجلة البلاغة المقارنة ، التناص تفاعلية النصوص ع4 ، ربيع 1984.

والتحاور والتشارك عبر مجموعة من النصوص المهاجرة إليه والمستقرّة فيه وهو ما نلاحظه من خلال المفهوم الاصطلاحي للتناص.

التناص اصطلاحا :

* أولا : عند الغربيين : تعرفه جوليا كريستيفا بأنه التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه [3] وينطلق رولان بارت من منجزات كريستيفا ليوسعها ويشرحها فيبين أن التناص يكون في كل نص مهما كان جنسه : (تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزا وفي النهاية تتحد معه ... فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة) [4]. ويعرف مارك أنجينو التناص بأنه :(كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نصا في نص تناصا). ثم يعرض بعد ذلك تاريخ المصطلح وأن أول ظهور للمصطلح كان على يد جوليا كريستيفا ... إلخ ما عرض[5] ويربط جيرار جينيت بين الشاعرية والتناص فيقول : (إن موضوع الشاعرية هو التعدية النصية أو الاستعلاء النصي الذي كنت قد عرفته تعريفا كليا : إنه كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى)[6]

(3) التناصية والنقد الجديد ، ليون سومفيل ، ترجمة وائل بركات ، مجلة علامات ، عدد أيلول 1996م ، جدة ، السعودية ، 0236

(4) آفاق التناصية ، مجموعة مؤلفين (مقالة بارت) ، صـ 18 ، ترجمة محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998م .

(5) في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مارك أنجينو ، ترجمة أحمد المديني ، صـ105 ، دار الشئون الثقافية العامة ،بغداد ، 1987م .

(6) آفاق التناصية صـ132 مرجع سابق.

وقراءة هذه التعريفات تجعلنا نخرج بخلاصة مفادها أن التناص عبارة عن قراءة لنصوص سابقة وتأويل لهذه النصوص ، وإعادة لكتابتها ومحاورتها بطرائق عدة على أن يتضمن النص الجديد زيادة في المعنى عن النصوص السابقة التي تشكل نواة له كما أننا نلحظ أن للتناص حدا أعلى هو التفاعلية التي قصدتها التعريفات السابقة وله حد أدنى وهو السرقات عند العرب أو plagiarism الذي يترجم إلى التلاص. ولا نكاد نجد دراسة تخلو من تعريف شهير لكريستسفا للتناص – وقد عرفت التناص أكثر من مرة – مؤداه : (النص إنتاجية وترحال للنصوص وتداخل نصي ، ففي فضاء نص معين ، تتقاطع ملفوظات مقتطعة من نصوص أخرى بواسطة الامتصاص والتحويل).

لقد تفاعل التناص مع قضايا كثيرة – هي في الحقيقة قضايا أساسية – منها ما يأتي:

1- تاريخية العمل الأدبي ، وموقع المؤلف فيه : فلقد فقد العمل الأدبي تاريخيته، وأضحى عملا تاريخياً لأنه أصبح يمثل إعادة إنتاج لنص أو نصوص سابقة عليه من الثقافة التي ينتمي إليها أو الثقافات الأخرى ، كما أن دور المؤلف أو الاهتمام به قد غاب ؛ لأن إنتاج النص أصبح – وفق فهم كريستيفيا – هو الذي يموضع الفاعل (الكاتب والقارئ) داخل النص كضياع في الأعماق ، أما جماعة (تل ـ كل) الفرنسية فقد أكدت موت الفاعل أو تلاشيه باعتباره مصدر الكتابة وفق ما يقوله جان بودري.

2- إنتاجية المعنى أو التمعني – كما تطرحه كريستيفيا – الذي على أساسه يجب تصور النص كإنتاج ، وليس كمنتج لكي تكون الدلالة غير وافية في تقديم المعنى فالنص هو فضاء متعدد المعاني ، يتلاقى فيه عدد من المعاني الممكنة . والتمعني الذي يعني الدلالة التي تنتمي إلى الإنتاج ، أي الأداء

والترميز حيث يقوم النص بموضعة الفاعل (الكاتب والقارئ معا) داخل النص كضياع في الأعماق .

3- وهناك مفهوم تخلّق النص/ خلقة النص التي يعني العمليات المنطقية الخاصة ببنية فاعل اللفظ فهي مجال مختلط كلميّ وغريزيّ معا ، وتتناول المؤديات وليس الأداء ، وتستطيع خلقة النص أن تنطلق من نظرية للعلامة وللاتصال ، فهي المادة المميزة لعمل العلامات .

4- نظرية التلقي ، وعلاقة العمل الأدبي بالواقع الخارجي ، فمن منظور التلقي والتأويل يعرف ميخائيل ريفاتير (Michael Riffaterre) التناص بأنه " إدراك القارئ للعلاقة بين نص ونصوص أخرى تكون قد سبقته أو تعاصره" (4) بذلك فهو يدرج القارئ ضمن الظاهرة الأدبية ، ويعطيه موقعا متميزا ، الشيء الذي نتج عنه توسيع مفهوم التناص ، وذلك بالتركيز على أهم عنصر في العملية الإبداعية : القارئ وما يقوم به هذا الأخير من دور كبير في تأويل عمل المبدع ، واكتشاف مجالات التناص فيه، وفق طريقته ومنهجه وأفكاره ومعارفه . إن ما ميّز مفهوم التناص عنده هو تركيزه على دور القارئ في عملية التناص من خلال ما يقوم به من استحضار لمخزونه الثقافي عند قراءة النص، ما أدخل القارئ كفاعل في هذه العملية،

وعلى الرغم من أن كريستيفا لم تتحدث في صياغتها لمعنى مصطلح التناص عن التناص الذي يحدث بين النصوص المختلفة القديمة، أو المعاصرة التي تنتمي إلى هذه الثقافة أو تلك ، إلا أنها أشارت إلى التناص الذي يحدث بين النصوص ، وغيرها من الفنون الأخرى ، وذلك

عندما قامت بتطوير هذا المفهوم ، مما أدى إلى نسف مفهوم القراءة الأحادية ، وبؤرة النص ، وأصبح التناص ينتمي إلى نظرية التلقي إلا أنها لم تقدم مفهوما واضحا ومحددا له ، وربما كان ذلك من الأسباب التي جعلتها في مرحلة لاحقة تتخلى عنه.

5- تداخل الأجناس الأدبية : حيث يلغي مفهوم التناص الحدود بين الأدب والفنون الأخرى ، ويجعلها مفتوحة على بعضها البعض .

إلى قضايا أخرى طرحها منهج التناص تنظر في مظانها إذ إن هذا البحث معني بالدرجة الأولى بالحديث عن الجهود العربية في هذه النظرية .

* ثانيا : عند العرب : وأول من نقل المصطلح إلى اللغة العربية الشاعر الناقد محمد بنيس في كتابه : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب دراسة بنيوية تكوينية عام 1979م[7] وقد ترجمه وقتها بالنص الغائب و هو مرادف لمصطلح التناص عنده ثم عاد في سنة 1988م واستعمل مصطلح هجرة النص في كتابه : (حداثة السؤال)[8] ، ثم استعمل مصطلح : التداخل النصي في عام 1989م في كتابه : (الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالاتها ، الشعر المعاصر)[9] ، لكن تعريف بنيس للتناص لا يخرج عن تعريف كريستيفا (كل نص هو امتصاص وتحويل لوفرة من النصوص الأخرى) حتى تعريفه للنص هو كلام كريستيفا أيضا. ثم نلتقي بالدكتور محمد مفتاح في كتابه الرائد الذي حمل في عنوانه لفظة التناص سنة

([7]) دار التنوير ، بيروت ، ط2 ،1985م . ولم أتمكن من الحصول على الطبعة الأولى من الكتاب .

([8]) بيروت ، ط2 ، 1988م وهو مصطلح ورد عند البنيويين في زمن البنيوية وما بعد البنيوية.

([9]) دار توبقال ، المغرب ، ط 3 ، 2003م.

1985م الذي يسمى (تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص) وفيه توسع واضح في فهم المصطلح ودراسة تجلياته وقد عرف التناص بأنه : (تعالق(الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة) [10] ثم نلتقي بعد ذلك بالدكتور صبري حافظ في بحثه : التناص وإشاريات العمل الأدبي[11] وفي نهاية بحثه يقدم خلاصة مفادها أن (دراسة التناص ليست بأي حال من الأحوال دراسة للمؤثرات أو المصادر أو حتى علاقات التأثير والتأثر بين نصوص وأعمال أدبية معينة فهذا مجال الأدب المقارن ، ولكنها دراسة تطرح شبكتها الرهيفة الفاتنة على محيط أوسع ، لتشمل كل الممارسات المتراكمة ، وغير المعروفة والأنظمة الإشارية والشفرات الأدبية والمواضعات التي فقدت أصولها [12].

ونشير هنا إلى أمر مهم وهو أن تعريفات النقاد العرب للتناص لا تكاد تخرج عن تعريفات الغربيين في شيء فهي مجرد تكرار لها أو تعريب وترجمة لهذه التعريفات سوى ما نجده من بعض النقاد العرب الذين استطاعوا هضم هذا المنهج وإضافة تعريف خاص بهم .

([10]) تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص صـ121 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، عام 1985م .

([11]) مجلة ألف المصرية الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، العدد الرابع ، ربيع 1984م وقد كان عنوان العدد : التناص : تفاعلية النصوص ، وتقول في مقدمتها :(إن مصطلح التناص الذي يعني استحضار نص ما لنص آخر وقد أصبح شائعا في النقد المعاصر...).

([12]) التناص واشاريات العمل الأدبي صـ23 ، وقد أعاد العبارة نفسها في كتابه : أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية صـ60 ، دار شرقيات ، القاهرة ، ط1 ، 1996م.

***رحلة المصطلح :**

إن النقد العربي مطالب باستيعاب استراتيجيات التناص ومفاهيمه وأساسه المعرفي ، ومستوياته وأشكاله المتعددة حتى يتمكن من تشكيل أرضية معرفية ونقدية تؤهله للمساهمة في إقامة حوار معرفي معه ، سواء لنقض طروحاته ومفاهيمه ومقولاته ، أو لتطوير وإغناء هذه المفاهيم والمقولات لكي لا نظل في إطار الاستهلاك والنقل خاصة مع التطور الواسع الذي يشهده النقد العالمي المعاصر، وتعدد اتجاهاته ومدارسه . وإذا كانت سيرورة هذا النقد التاريخية والمعرفية تقوم على الاتصال لا الانقطاع فإن مهمة النقد العربي المعاصر تتضاعف إذ لابد من استيعاب ومعرفة عوامل التحول ومرجعياتها ، ومصادرها وكيفية تحولاتها داخل أنساقها الأمر الذي يؤكد على البعد الثقافي والمعرفي الكبير الذي لابد منه للنهوض بهذه العملية الواسعة التي بات يحتاج إليها النقد العربي المعاصر للخروج من حالته الراهنة.

ورحلة المصطلح تشمل أربعة أمور أولها : إرهاصات بظهور المصطلح ، وثانيها : ولادة المصطلح ، وثالثها : تحوله إلى نظرية ، ورابعها : نزوحه إلى الأراضي العربية .

أولا : الإرهاصات :

أو على حد تعبير الدكتور خليل الموسى : ما قبل ولادة المصطلح [13] و يهمنا ألا نبحر في التاريخ الطويل بل نشير إلى العهد القريب وعندها سنجد إشارات وقرائن بل إرهاصات تشير إلى أقرب نشوء المصطلح ومنها :

([13]) التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب ص45 ، مجلة الآداب العالمية الصادرة عن اتحاد الكتاب العربي ، العدد 143 ، صيف 2010م .

أ- ما ذكره دوسوسير من أن الكلمات تحت الكلمات ، وأن النص سطح مكوكب يبنيه وتحرّكه نصوص أخرى ، وهو مكتمل النظام ، تأتلف فيه الكلمات وتنسجم ضمن مساق نصي (حسبما استقرت عليه آخر هذه التنظيرات لدى اللسانياتيين والسيميائيين في الغرب [14])، و اعتبار الجهود اللغوية لدى فردينارد دي سوسير بخصوص هذه الإشكالية بمثابة الإرهاصات الأولى التي أومأت إلى ظاهرة التناص .

ب- ما قاله تشكلوفسكي وهو من الشكليين الروس (1893- 1984م) : (إن العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في تواز وتقابل مع نموذج معين بل إن كل عمل فني تبدع على هذا النحو) [15] وهذا أيضا قريب من مفهوم التناص .

جـ- ما قاله ميخائيل باختين من أن : (الفنان الناثر ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين فيبحث في خضمها عن طريقه ... إن كل عضو من أعضاء المجموعة الناطقة لا يجد كلمات لسانية محايدة ومتحررة من تقويمات الآخرين وتوجيهاتهم بل يجد كلمات تسكنها أصوات أخرى ، وهو يتلقاها بصوت الآخرين مترعة [16])

([14]) تشاكل / تباين التناص ، لحسن عزوز ، http://azzouzlahcen.jeeran.com ، 26 آذار (مارس) 2011 .

([15]) الشعرية ، تودوروف ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ،صـ41، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1987م.

([16]) السابق (41،42)

وهذه الفكرة سماها باختين الحوارية ومفادها أنه لا يوجد تعبير لا تربطه صلة بتعبير آخر وليست هناك كلمات بكر سوى كلمة آدم وقد استفادت كريستيفا من هذه الفكرة الباختينية وجعلتها نصب عينيها وهي تبتكر مصطلح التناص التي كانت صاحبة اختراعه في سنتي 1966م – 1967م .

ثانيا : ولادة المصطلح :

تأثرت كريستيفا بفكرة الحوارية أو الصوت المتعدد التي أشار إليها باختين فصاغت مصطلح التناص Entertextuality وقد كان ذلك في عدة أبحاث نشرتها على مدار عامين (1966- 1967م) في مجلة Tel – Quel [17] ثم أعادت نشر مقالاتها في كتابين هما : السيمياء ونص الرواية والمصطلح منحوت من كلمتين enter وتعني داخل و textual وتعني نصي فيصبح المعنى التداخل النصي أو التناص وعرفته بأنه (كل نص هو امتصاص وتحويل لكثير من نصوص أخرى) . ويتركز التناص عند كريستيفا ومن جاء بعدها على أسس جوهرية [18] :

([17]) هي مجلة فرنسية ظهرت عام 1960م وأخذت المجلة توجهها من الشاعر الفرنسي بول فاليري الذي نشر عملا بهذا العنوان عام 1941م وفيه يفضل الشكل على المضمون ، وقد أصدرت جماعة تيل كيل التي سمت نفسها باسم المجلة كتابا أسمته نظرية الجمع 1968م عرضت فيه خلاصة جهدها الجماعي ضمت مقالات لفوكو وبارت ودريدا و كريستيفا ... أعلنوا فيه ضرورة تجاوز الحرفي والشكلي والبنيوي وقد كان اتجاه المجلة سيميائيا .

([18]) أشار إلى هذه الأسس الشاعر أحمد بلحاج آية وارهام في مقال له على الشبكة الدولية internet تعليقا على بحث قدمته الدكتورة خديجة الفيلالي بعنوان حضور القرآن في شعر أحمد مطر ضمن فعاليات الملتقى الدولي الثالث الأدب الإسلامي المنعقد بأكادير 16-18 يناير 2001م بعنوان النقد التطبيقي بين النقد والمنهج .

– النص ليس واضح المعالم والحدود ولا بداية له ولا نهاية ولا مضمون ولا وحدة كلية ، ولا عنوان ولا مؤلف ، ولا قيمة مرجعية عكس النظرة القديمة لمفهوم النص.

– النص هو مستقر لنصوص أخرى من خلال عملية استيعاب بالغة الذكاء . فهو يعني أكثر مما يقول، وينسف كل المعاني الممكنة عن طريق المعارضة.

– النص محاولة لنسف التقاليد ، لأنها في تحجرها تحجب التأسيس الأول للكينونة، وتخفي أصل الأشياء.

– النص أفق يبتلع العالم كله ، ويتحول إلى مكتبة عالمية .

– لا يوجد نص مغلق مكتف بذاته ، فالنص الحداثي يجتاح حدوده ، ويتسع إلى درجة تمكنه من إزاحة نصوص ووضع يده على أخرى ، ينفتح أمام تأثيراتها في استخدام اللغة والمجاز والموضوعات والأصداء حتى تصبح مدلولا مراوغا لعلامات هي ذاته .

والنص دالٌّ تجتاح حدوده نصوصا أخرى لفتح فجوة بين الدال والمدلول أمام تعدد أو لا نهائية الدلالة .

– النص له ديمومة الحياة والمؤلف له ديمومة الموت .

– كل نص هو تناص – كما يعبر رولان بارت – إذ لا معنى في نظره من التناص.

– التناص يحدث داخل وعي القارئ ، ودون وعي ذلك المتلقي . فالتناص – شأنه شأن النص نفسه – لا وجود له .

– النص يحمل في شفراته بقايا و آثار وشذرات من الكتاب الأكبر The Book الذي يضم كل ما كتب بالفعل ، فهو – حسب بارت– جزء من كل ما تمت كتابته.

– النص يحمل رمادا ثقافيا من نصوص سابقة . وهذا ما تشهد بصحته الظواهر النصية .

– التناص يرتبط بوعي القارئ وبأفق انتظاره . وهذا ما يعني لا نهائية التفسير وخطأ الدلالة المستمرة دون توقف ، واستحالة معرفة الحقيقة .

ثالثا : تحوله إلى نظرية :

سارع الكتاب الفرنسيون إلى تبني المصطلح والتركيز عليه فاستطاع رولان بارت أن يطور المصطلح ويعمق المراد منه ، ويوسع آفاقه ، وأدخل القارئ عنصرا فاعلا في الوعي بالمدلول لانفتاحه على آفاق وحقول ثقافية ومراجع لا نهائية ويتحدث بارت عن النص كما لو كان يتحدث عن جيولوجيا الكتابات ، كما أن بارت أعلى من شأن القارئ فجعله منتجا للنص لا يقل شأنا عن المنتج الأصلي (القائل) : (إن عبارة : النص جيولوجيا الكتابات ومقولة موت المؤلف تعنيان أن التناص قد رأى نص وأن منتج النص ليس واحدا وهذا ما فتح النص على آفاق التأويل والتعدد والاختلاف والإرجاء عند دريدا وسواه وهو يجعل – في الوقت ذاته – النص الثري مفتوحا على آفاق قرائية وتأويلات مختلفة) [19] وكذلك نجد الناقد الآخر جيرار جينيت من أكثر النقاد اهتماما بالمصطلح في كتابيه : (مدخل لجامع النص 1979م – أطراس 1982م) واستوفى الكلام في النص – والتناص تابع لدراسة النص أو نظرية للنص في كتابه الثالث : عتبات 1987م ثم تلقفه نقاد آخرون أمثال : مايكل ريفاتير الأمريكي الأصل ومارك أنجينو ولوران جيني وميشيل أريفي وبيير مارك دوبيازي وغيرهم حتى تحول إلى نظرية ومنهج من المناهج النقدية التي تصلح لفك شفرات النص الأدبي .

([19]) التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية د/ خليل الموسى 57 مرجع سابق .

رابعا : نزوحه إلى الأراضي العربية :

كنت قد أشرت إلى أن أول من أدخله أرض العرب هم المغاربة وأولهم الشاعر محمد بنيس 1979م وسماه النص الغائب حينها لكن محمد برادة ترجم المصطلح 1982م إلى التناص ثم كانت دراسة صبري حافظ في مجلة ألف القاهرية 1984م ...إلخ لكن الأهم من ذلك أنه لم ينقل إلى العربية في هيئة مصطلح واحد لكن تعددت المصطلحات المقابلة للمصطلح الأجنبي entertextuality كانت كثيرة منها– على سبيل المثال لا الحصر – :

1– النص الغائب كما فعل محمد بنيس في كتابه ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب مقاربة بنيوية تكوينية .

2– التناص كما فعل محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص وكذلك عبد الملك مرتاض في كتابه فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص وصبري حافظ في : التناص و إشاريات العمل الأدبي .

3– التفاعل النصي كما سماه سعيد يقطين في كتابه : انفتاح النص الروائي .

3– التداخل النصي كما سماه عبد الله الغذامي في كتابه : الخطيئة والتكفير.

5– النصوص المتداخلة كما سماه سعيد الغانمي في كتابه : السيمياء والتأويل .

6– التناصية كما روج له محمد خير البقاعي في كتبه وبخاصة في ترجمته آفاق التناصية المفهوم والمنظور .

7– التناص كما سماه عبد الواحد لؤلؤة في بحثه : من قضايا الشعر العربي المعاصر: التناص مع الشعر الغربي .

إلى ترجمات أخرى كثيرة منها : النصوصية وتداخل النصوص وغيرها .

ولأننا حددنا عنوان البحث عند العرب المعاصرين فإننا سوف نتناول المصطلح الذي شاع وهو التناص في نقد نقادنا العرب المعاصرين .

المبحث الأول

اتجاهات معالجة التناص عند العرب المعاصرين

تعددت الدراسات العربية التي تناولت التناص بالدرس والتحليل والتطبيق أيضا [20] لكن بعض من تناول هذه النظرية الغربية جعل التراث منطلقا لدراسة

([20]) حاولت جمع عدد من الدراسات التي دارت حول هذا المفهوم لكنني أعلم أنه لا يمكن حصرها على وجه الدقة في العلم العربي كله بيد أنني سوف أشير إلى بعضها :

1- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، محمد بنيس، دار التنوير ،. بيروت ، ط2، 1985م .

2- الشعر العربي الحديث : بنياته وإبدالاتها – الشعر المعاصر ، محمد بنيس ، دار توبقال ، المغرب ، ط3 ، 2003م.

3- تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص ، محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط1، 1985م .

4- أفق الخطاب النقدي ، صبري حافظ ، دار شرقيات ، القاهرة ، ط1، 1996م .

5- التناص الشعري : قراءة أخرى لقضية السرقات ، مصطفى السعدني ، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط1، 1991م .

6- المتخيل السردي : مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1990م.

7- المسبار في النقد الأدبي :(دراسة في نقد النقد للأدب القديم وللتناص) ، حسين جمعة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003م .

8- النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب، 2001م .

9- دراسات في تعدي النص ، وليد الخشاب ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 1994م .

10- قراءات في الشعر الحديث والمعاصر ، خليل الموسى .، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا، 2000م.

11- التفاعل النصي (التناصية) النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد ، سلسلة كتاب الرياض ، السعودية ، عدد104 ، 2002م .

12- أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتحالية الترجمة تسبقها ما هو التناص ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ط2، 1983م.
13- أشكال التناص وتحولات الحطاب الشعري المعاصر : دراسات في تأويل النصوص ، د/ حافظ المغربي ، ط النادي الأدبي بحائل ، ط1 ، 2010م .
14- تداخل النصوص في الرواية العربية بحث في نماذج مختارة ، د / حسن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1998م .
15- التفاعل النصي (التناصية) النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد ، سلسلة كتاب الرياض ، السعودية ، عدد104 ، 2002م.
16- التناص التاريخي والديني : مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية في رواية : رؤيا لها لهاشم غرابية ، د / أحمد الزعبي ، مجلة أبحاث اليرموك ، عدد 1 ، ص ص 169 – 200 ، 1995م .
17- التناص التراثي في : حدث أبو هريرة قال ... لمحمود المسعدي ، رسالة ماجستير من إعداد : زهرة خالص ، جامعة الجزائر ، 2006م .
18- التناص النظرية والممارسة ، د/ مصطفى بيومي ، ط/ النادي الأدبي بالرياض ، ط1 ، 2010م .
19- التناص بين النظرية والتطبيق : شعر البياتي نموذجا ، د / أحمد طعمة حلبي ، صدر في الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2007م
20- دراسات في تعدي النص ، وليد الخشاب ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 1994م .
21- علم التناص المقارن : منهج عنكبوتي تفاعلي ، د/ عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006م .
22- النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، د / محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب ، 2001م .
23- مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر ، عبد المنعم محمد فارس سليمان ، رسالة ماجستير منشورة على الشبكة الدولية ، http://www.najah.edu/thesis ، 2005 م.

النص فأحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها مفاهيم النظرية الغربية كما فعل سعيد يقطين في معظم كتبه فقد (فتح بابا جديدا في مشروعه النقدي الكبير هذا هو باب ربط الإبداع السردي الجديد بماضيه أي بالتراث العربي القديم الذي يتفاعل معه فهو قد انطلق فيهما من تناول دراسة هذا الجانب أي حضور الجنس الأدبي التراثي في الرواية العربية الحديثة ومدى تأثيره في عملية تأطير بنيتها الروائية انطلاقا من تحليله لتمفصلات الرؤية السردية لرواية الزيني بركات للكاتب جمال الغيطاني من جهة أولى وللعلاقة القائمة داخلها بين الخطاب التاريخي وبين الخطاب الروائي من جهة ثانية)[21] حتى إننا نجد عنوان أحد كتبه يحمل النص على التراث مباشرة وهو الكتاب : الرواية والتراث السردي وهو يدرس الرواية انطلاقا من رؤية شمولية تبتدئ من تحديد الرواية بالسرد القديم ليصل إلى تحديد علاقة العربي بتراثه بمعنى أنه ينطلق من نصية الرواية ليصل إلى نظرية النص بكليتها .

كما نجد أيضا ممن أحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها المفاهيم الغربية : عبد الملك مرتاض فقد قابل بين التناص والسرقات الأدبية ورأى أن السرقات فكرة تحتاج إلى صياغة جديدة وقراءة بأدوات تقنية جديدة وأشار إلى كون التناصية (تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى وهذه الفكرة كان الفكر النقدي العربي عرفها معرفة معمقة تحت شكل السرقات الشعرية)[22] .

([21]) مقالة على الشبكة الدولية internet بعنوان : حول المشروع النقدي – الإبستمولوجي عند الدكتور سعيد يقطين الدقة في المنهج والرحابة في التأويل منشور بتاريخ 21 ديسمبر 2006م، وكاتب المقال هو المغربي الدكتور نور الدين محقق .

([22]) فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص ، مجلة علامات ، عدد 1 ، ص69 – 93 ، مايو 1991م .

وممن أحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها المفاهيم الغربية للنظرية محمد عبد المطلب إذ إنه نشر في ذات المجلة في العدد الثالث منها دراسة بعنوان : التناص عند عبد القاهر الجرجاني طابق فيها بين التناص ومصطلحات تراثية كالاقتباس والتضمين والسرقات ، والحق أن محمد عبد المطلب يفعل هذا الأمر كثيرا إذ أنه يأخذ مصطلحات النقد الحديث في الغرب ويعود بها إلى التراث العربي القديم ولعلنا لا ننسى كتابه : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من الكتب .

وهناك كثيرون أيضا فعلوا ذات الأمر (دعوا إلى العودة إلى التراث لينطلقوا منه إلى دراسة النص) حتى أن أحدهم كتب مقالا على الشبكة الدولية عنوانه : مرجعيات التناص عربية [23] تحدث فيه عن الإشارات العربية القديمة التي لمست التناص وركز على السرقات الأدبية .

وليس من وكدنا أن نحصي كل من استبدل المصطلحات الغربية بأخرى عربية لكنها إشارة إلى أن بعض من تناول التناص من النقاد العرب جعل التراث له منطلقا .

* ومنهم من دخل إلى النظرية الغربية ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما قد يكون موجودا من التشابه بينها وبين بعض المصطلحات العربية ، ومن هؤلاء جماعة من النقاد قامت بترجمة كتب النظرية عن الغربيين واكتفوا بذلك كما فعل عبد الحميد عقار الذي ترجم كتابا عن التناص لـ " كريزنسكي " ضمن كتاب : طرائق تحليل السرد الصادر عن اتحاد كتاب المغرب ، وكما فعل أيضا وائل بركات الذي ترجم بحثا لسومفيل في أحد أعداد مجلة علامات [24] .

([23]) كاتب المقال هو العراقي الدكتور / إياد السلامي في موقع فنون عربية .

([24]) العدد 21 ، مجلد 6 ، سبتمبر 1996م . .

*وهناك من اختط منهجا ثالثا هو : الجمع بين الترجمة عن التناص مع إقامة دراسات حوله ومن هؤلاء بشير القمري الذي كتب دراسة رائدة بعنوان : شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات راجع فيه مصطلح النص من وجهة نظر غربية مختلفة تعود إلى كريستيفا وبارت وعلي الرغم من أنه ينص في عنوانه علي أنها قراءة تناصية إلا أنه اعتمد علي مصطلحات باختين وبخاصة مصطلح الحوارية ، كذلك نجدله بحثا في مجلة الفكر العربي [25] عن :" إشكالية المفهوم علي المستويين النظري والتطبيقي" وله أيضا بالمشاركة:طرائق تحليل السرد[26] إضافة إلي ما ترجمه من بحوث بلورت النظرية وأسهمت في إثرائها.

وممن سلك هذا المسلك محمد برادة الناقد والروائي المغربي الذي ترجم لرولان بارت: درجة الصفر للكتابة [27] وترجم أيضا لميخائيل باختين : الخطاب الروائي[28] وفيه مقدمة للترجمة وفي المقابل نرى له من تأليفه : أسئلة الرواية أسئلة النقد ولغة الطفولة والحلم : قراءة في ذاكرة القصة المغربية[29] وحتى لا تأخذنا هذه التقسيمات نود أن نشير إلي أن اتجاهات النقاد العرب في دراسة التناص انشبعت إلي اتجاهين أحدهما :نظري والثاني تطبيقي وقد لا نستطيع حصر كل المؤلفات المنضوية تحت القسمين لكننا سنشير إلي أهمها:

([25]) مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد يناير (كانون الثاني) 1989م .

([26]) الكتاب لمجموعة من المؤلفين الأجانب وترجمة عدد من المؤلفين العرب منهم بشير القمري، صادر عن اتحاد كتاب المغرب ، المغرب ، الرباط ، 1992م .

([27]) منشور في الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، 1981م .

([28]) دار الفكر ، القاهرة ، 1987م .

([29]) منشورات الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ،1986م .

أولا : المستوي النظري :

وأقصد بالمستوي النظري مناقشة قضايا المصطلح مناقشة نظرية لا تدخل حيز التطبيق والممارسة وإنما هي الأطر النظرية التي تحدد المعالم الفكرية للنظرية عند النقاد العرب و قد أسهم في تحقيق هذه النظرية ثلاثة أمور:

1. المجلات 2. الكتب 3. المقالات

1- المجلات :

ولعل أولى المجلات العربية التي أسهمت في تعميق الوعي بالتناص في الحياة النقدية العربية عن طريق تحديد عنوان للعدد ثم إسهام العلماء والنقاد بالدراسات والأبحاث المتعلقة بهذا المحور . أقول من أوائل المجلات التي عنيت بالتناص مجلة (ألف) القاهرية وهي صادرة عن الجامعة الأمريكية وفي عددها الرابع عام 1984 خصصت العدد للتناص تحت عنوان التناص : تفاعلية النصوص وكان الدكتور صبري حافظ من أوائل من كتبوا عن التناص في فترة مبكرة من الكتابات العربية في هذا الميدان فكتب : التناص وإشاريات العمل الأدبي ، وقد ركز فيه الدكتور صبري حافظ على أن النقد العربي جعل النص مدار اهتمامه قبل أن يطلع علينا النقد الغربي بمفاهيمه عن بنية النص والخصائص الشكلية التي تعطيه طبيعته الأدبية وعن تفاعلية النصوص التي نعرفها الآن باسم التناص ثم يقرب للقارئ فكرة النص الغائب بحادثة حدثت معه حين قرأ كتاب أرسطو لأول مرة فلم يجد فيه فكرة واحدة لا يعرفها ، ثم يشير الباحث إلى أن النص يقع في ظل نص أو نصوص أخرى ، لنجد ترسبات هذه النصوص فيه من خلال جدليات الإحلال والإزاحة ، ثم ذكر أن مفاهيم : الترسيب والنص الغائب والإحلال والإزاحة تكتسب معناها المحدد من السياق ، ثم يستعرض آراء بعض رواد نظرية النص – والتناص جزء

منها– من أمثال رولان بارت ويوري لوتمان ثم يعرض آراء أخرى في التناص منها رأي بارت فيه حيث يقول : (كل نص يتناص – أي يتفاعل – مع غيره من النصوص ، وينتمي إلى مجال تناصي لا يجب الخلط بينه وبين الأصول أو المصادر التي ينحدر منها هذا النص ، فالأصول التي ينبثق منها نص ما مجهولة ولا يمكن استعادتها واقتباسات النص من هذه القراءات جميعا ... اقتباسات لا يمكن تحديدها أو إرجاعها إلى أصولها أو تأطيرها في علامات تنصيص)[30] ثم يعرض لرأي جوناثان كلير حول وظيفة التناص ثم يذكر آراء كريستيفا وهارولد بلوم ثم يخلص إلى أن دراسة التناص ليست دراسة للمؤثرات أو المصادر أو التأثير والتأثر بين النصوص لأن هذا ميدان عمل الأدب المقارن ، وإنما هي دراسة لكل الممارسات المتراكمة غير المعرفة وهي دراسة للأنظمة الإشارية والشفرات الأدبية والمواضعات التي فقدت أصولها[31].

ومن المجلات التي أسهمت في الحديث عن التناص مجلة الفكر العربي المعاصر التي خصصت عددا للتناصية[32] وكتب فيه عبد الوهاب تزّو عن مصطلح الإنتاجية عند كريستيفا وقد استعرض في بحثه بعض جهود ميخائيل باختين وجيرار جينيت بالإضافة إلى كريستيفا . وفي العدد نفسه دراسة للمغربي بشير القمري عن إشكالية مفهوم التناص على المستويين النظري والتطبيقي .

([30]) التناص وإشاريات العمل الأدبي ، مجلة ألف ، ص14 ، مرجع سابق.

([31]) السابق ص23

([32]) هو عدد كانون الثاني (يناير) 1989م وهي مجلة تصدر عن مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان .

كذلك مجلة الآداب العالمية التي تصدر عن اتحاد كتاب العرب خصصت ملف العدد للحديث عن النص والتناص[33] جاءت فيه الأبحاث التالية : 1- اختراع النص : جيان فرانكو ماروني ترجمة قاسم المقداد .
2- تحليل الخطاب : نسبية النظرية وقيود المنهج ، نورة بعيو . 3- التناص ومرجعياته ،د/ خليل الموسي. 4- جمالية التلقي : دراسة في مرتكزات النظرية ومرجعياتها ، د/ محمد حرير.
5- الشكلانية الروسية ، د/ نوفل نيّوف.

2 – **أما بالنسبة للكتب** التي تناولت الحديث النظري عن التناص فهي :
1- الكتب المترجمة فقط . 2- الكتب النظرية .

ومن أمثلة الكتب العربية النظرية كتاب نهلة فيصل الأحمد وهي باحثة سورية وكان عنوان أطروحتها للماجستير : التفاعل النصي – التناصية النظرية والمنهج عام 2000م ، وقد صدرت الرسالة في سلسلة كتاب الرياض، السعودية، العدد 104، في يوليو 2002م ،وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول كان الأول بعنوان التفاعل النصي تناولت فيه مفهوم النص في الثقافتين العربية والغربية لغة واصطلاحا وأوجه التشابه والاختلاف في تعريفه بين الثقافتين ثم تناولته في الحقول النقدية فتناولته في اللسانيات وفي الشكلانية والبنيوية وما بعدها والسيميائية والتفكيكية وكيف تحول التفاعل النصي إلى مفهوم داخل مفهومات السيميائية والتفكيكية ، الفصل الثاني وعنوانه : نظرية التفاعل النصي / التناصية وبحثت فيه

([33]) في عددها 143 ، صيف 2010 ، السنة الخامسة والثلاثون ، دمشق ، سوريا .

إرهاصات النظرية ولم تذكر كلمة إرهاصات وتدرجت من سوسير إلى إليوت إلى شيكلوفيسكي إلى باختين ثم إلى جوليا كريستسفا ومن جاء بعدها ، والفصل الثالث التفاعل النصي ومصطلحات النقد الغربي والنقد القديم تناولت عدة مفهومات من خلال التفاعل النصي هي الأدب المقارن والأدب القومي والتأثر والتأثير وغيرها ثم انتقلت إلى النقد القديم فذكرت أن العرب قد عرفوا العلامات النصية وحددوا لها الدرجات والمستويات مع الاستشهاد بآراء السابقين ثم رسمت جدولا للمصطلحات التي تندرج تحت التناص والتي لا تندرج ، وفي الفصل الرابع درست التفاعل النصي الجهاز المفهوماتي (الدستور – الأقسام – العلاقات – الآليات) وبينما يعد يحيى الأمير[34] أن الفصل الثالث من الدراسة هو الفصل الأكثر حيوية في الكتاب ويعد عز الدين المناصرة الفصل الرابع أهم ما في الكتاب [35] .

* ومن الكتب النظرية أيضا كتاب علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) لعز الدين المناصرة [36] والكتاب مكون من أحد عشر فصلا نعدها سريعا هي :

1- جدلية الأدبي والثقافي : التناص آلية التحليل وهو بمثابة مدخل الكتاب ينقد فيه التبعية للغرب .

([34]) مقال في جريدة الرياض اليومية بتاريخ 2008/8/27 م العدد 12485 السنة 38.

([35]) علم التناص المقارن : منهج عنكبوتي تفاعلي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006م .

([36]) نشرت الكتاب دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، 2006م ، بدعم من عمادة البحث العلمي جامعة فيلادلفيا ، فلسطين .

2- إشكالات التجنيس الأدبي : الإطار النظري : وهي دراسة في الترجمات العربية لعدد من الأفكار الأوروبية .

3- نظرية الأجناس والأنواع الأدبية : تتابع أم صراع وقطعية فنظرية الأجناسية ستظل مفتوحة متحركة بشكل دائم والفصل يدور حول مرجعين اثنين مترجمين فقط.

4- تقنيات السرد الشعري في الأنواع الأدبية : قراءة تناصية ويدور حول علاقة السرد بالنص الشعري لمعرفة الحدود الفاصلة بينهما ولمعرفة مدى التداخل أيضا .

5- التناص في النقد الحديث : ويشتمل على قسمين : 1- في النقد الأوروبي الحديث تناول فيه آراء كريستيفا وتودوروف وبارت وجيني وأنجينو وجينيت وسوموفيل ودوبيازي وآريفي 2- في النقد العربي الحديث وتناول فيه : محمد بنيس ومفتاح وكاظم جهاد وشربل داغر ونهلة فيصل الأحمد وصبري حافظ .

6- التناص والتلاص : في الموروث النقدي وفرق بين التناص والسرقة ووصل فيه إلى نتيجة مؤداها أن الموروث النقدي تفاعل مع السرقات على أنها مزيج من أشكال متعددة من التناص والتلاص معا ، وليس التلاص وحده على الرغم من إطلاق اسم السرقات على النوعين معا .

7- طه حسين : التناص المعرفي ونظرية الانتحال حيث قام طه حسين بتوطين المناهج الفرنسية أو التناص المعرفي لإعادة قراءة التراث وبخاصة نظرية الانتحال .

8- إدوارد سعيد الناقد الثقافي المقارن : قراءة طباقية فالنقد المقارن تخلى عن المنهج التاريخي الفرنسي أما النقد الثقافي المقارن عند إدوارد سعيد فإنه يسير إلى الوراء أي إلى المنهج التاريخي ليهرب من مقولات : لا شيء خارج النص أو : النص المكتفي بذاته فإلى أي مدى يمكن للناقد أن يبقى داخل النص ومتى يخرج ؟ وهل يمكن قياس المدى ؟

9- إحسان عباس ونقد الشعر الحديث ويهدف الفصل إلى دراسة الخيط النقدي الذي يربط الأفكار بغيرها قراءة الصورة الكاملة غير المقصورة على كتاب واحد .

10- إحسان عباس والنقد المقارن وهو دراسة لميل إحسان عباس لممارسة المقارنة بين النصوص والوقائع المختلفة وهو يمارس النقد التطبيقي المقارن دون إطار نظري يشير إليه في بداية دراساته ، ثم أضاف الباحث ملحقا بإحسان عباس في نهاية الفصل.

11- شعرية النص العنكبوتي : نحو منهج عنكبوتي تفاعلي ويقترح الكاتب الاستفادة من الثورة العلمية (الإنترنت) لتحليل النصوص الأدبية عبر إحالات أو تشعبات تحيل إلى مرجعيات معرفية أخرى عن طريق عمل ارتباط تشعبي ثم يتساءل إلى أي مدى يحتمل النص الأدبي الإحالات التي لا تحصى دون مبالغة أو استطراد ؟ وبالتالي يمكن إضافة منهج جديد نسميه : المنهج العنكبوتي التفاعلي. والكتاب كبير الحجم مفيد غير ممل يعد من أوفى الكتب في مجاله .

*** الكتب المترجمة عن أرباب النظرية الغربيين :**

نجد ترجمة لكتاب جوليا كريستيفا : "علم النص" وقد قام بها فريد الزاهي [37] وهي ترى أن النص الأدبي خطاب يخترق وجه العلم والأيديولوجيا والسياسة ويواجه كل ذلك ويعيد صهره كما أنه خطاب متعدد يقوم باستحضار كتابة ذلك البلور الذي هو محمل الدلالية المأخوذة من نقطة معينة من لا تناهيها [38] وهي ترى أن النص إنتاجية كذلك ترى أن المدلول الشعري يحيل إلى مدلولات خطابية مغايرة

([37]) منشور في منشورات توبقال ، المحمدية ، المغرب ، 1991م .
([38]) بتصرف من علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ص13-14 ،

يمكن قراءتها داخله فينشأ فضاء نصي متعدد داخل النص وتسميه كريستيفا : فضاء متداخلا نصيا ، كذلك ترى أن العمل التناصي : اقتطاع وتحويل. وتعرف التناص بأن : (كل نص هو امتصاص لنص آخر وتحويل عنه) [39] .

* كذلك من الكتب المترجمة كتاب : لذة النص لرولان بارت وقد ترجمه فؤاد صفا والحسين سبحان [40] .

* ومن الكتب أيضا كتاب : شعرية دستوفسكي لمخيائيل باختين وترجمة : جميل نصير التكريتي [41] وكذلك كتاب : الماركسية وفلسفة اللغة لباختين أيضا وترجمه : محمد البكري ويمنى العيد كما ترجم كتاب التناصية والنقد الجديد لـ(ليون سوموفيل) وترجمه وائل بركات [42] وترجم فخري صالح كتابا لتودوروف هو:ميخائيل باختين : المبدأ الحواري [43] وترجم عبد الرحمن أيوب كتابا لجيرار جينيت هو : مدخل لجامع النص [44] وترجم الرحوتي عبد الرحيم كتاب : بيير مارك دوبيازي : نظرية التناصية [45] إلى ما قام به محمد خير البقاعي من مقالات جمعها في كتاب : آفاق التناصية : المفهوم والمنظور [46] وكتب أخرى كثيرة لا يمكن حصرها .

([39]) السابق صـ79.
([40]) دار توبقال المغرب 1988م .
([41]) دار توبقال المغرب 1986م .
([42]) مجلة علامات ، عدد أيلول ، 1996م ، جدة ، السعودية .
([43]) المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، 1996م .
([44]) دار توبقال ، المغرب ، 1986م .
([45]) مجلة علامات عدد أيلول ، 1996م ، جدة السعودية .
([46]) صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998م .

3- المقالات المنشورة على الشبكة الدولية :

وهي كثيرة لا يحيط بها الحصر فقد اطلعت على عشرات المقالات حول النظرية منها :

1- التناص في النقدين الغربي والعربي كتبها محمد بكاي التلمساني [47] وقد تكلم في هذه المقالة : عن اختلاف النظرة إلى النص بحسب المناهج النقدية التي تتناولها ثم نقل تعريف كريستيفا للنص بأنه : (جهاز نقل لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعا الحديث التواصلي – ونقصد به المعلومات المباشرة – في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة) [48] ثم ذكر الكاتب أن هذا التعريف يتضمن عدة مفاهيم (خمسة) هي :

1- اعتبار النص ممارسة دلالية أي : نظام دلالي مميز خاضع لتصنيفة الدلالات ، حيث تتوالد الدلالة من عملية تستثمر جدل الفاعل (الكاتب) والآخر (القارئ) والسياق الاجتماعي .

2 . ان النص هو إنتاجية وهو الساحة التي يتصل فيها النص مع قارئه حيث يظل النص يعتمل باستمرار وليس الفنان أو المستهلك .

3- التمعني : وهو تصور النص كإنتاج وليس كمنتج لكي تكون الدلالة غير وافية في تقديم المعنى فالنص هو فضاء متعدد المعاني يتلاقى فيه عدد من المعاني الممكنة ، والتمعني الذي يعني الدلالة التي تنتمي إلى الإنتاج أي الأداء والترميز حيث يقوم النص بموضعة الفاعل (الكاتب والقارئ معا) داخل النص كضياع في الأعماق .

([47]) منشور في موقع تخاطب بتاريخ 2010/9/20.

([48]) التعريف منقول من آفاق التناصية ، محمد خير البقاعي ص37 مرجع سابق

4- تخلق النص / خلقة النص : وهو التحليل الذي يتناول المؤديات وليس الأداء وهو المادة المميزة لعمل العلامات وهو مجال مختلط كلمي وغرزي معا .

5- مفهوم التناص الذي يعيد توزيع اللغة لأن كل نص هو تناص والنصوص تتراءى فيه بمستويات مختلفة.

ثم تناول الكاتب من تحدثوا عن التناص في الغرب وأنهم ينتمون إلى البنيوية لكن هذا المصطلح نقض لها و أن التناص بحر لا نهائي وهو المكتوب من قبل . ثم تحدث عن مفهوم التناص عند بارت ولوران جيني ويوري لوتمان ثم تحدث عن أنواع التناص ثم انتقل إلى القسم الثاني من مقالته وهو : مفهوم التناص في النقد العربي فذكر أن التناص مصطلح مشكل وقد حمل معه إشكالياته حين ترجم ثم تحدث عن بذور التناص في التراث فذكر عبد القاهر ثم انتقل إلى تناول المحدثين من أمثال: شكري عزيز ماضي وصبري حافظ وأحمد الزعبي ومحمد مفتاح وبشير القمري ثم ختم ببعض الإشكاليات التي يواجهها من يدرس التناص .

وهناك مقالات أخرى كثيرة نشرت على الشبكة الدولية مثل :

1- حضور النص القرآني في الشعر أهو تناص أم اقتباس ؟ بقلم : أحمد بلحاج آية وارهام [49] .

2- التناص بين الاقتباس والتضمين الوعي واللاشعور ، بقلم : مفيد نجم [50] .

3- نظرية التناص في النقد الأدبي المعاصر بقلم أحمد أنيس حسون [51] .

4- آليات التناص بقلم : جميل حمداوي [52] .

([49]) من موقعه وقد كتبها بتاريخ 2007/2/10م .

([50]) مقال من موقع رابطة الواحة وتاريخ نشره في هذا الموقع 2005/5/14م .وكانت جريدة البيان الإماراتية قد نشرته بتاريخ 2001/1/28م.

([51]) وهو مقال منشور على موقع : ملتقى الأدباء والمبدعين بتاريخ 2009/6/1م .

([52]) وهو منشور على موقعه أيضا .

5- نظرية التناص بقلم عبد الرشيد حاجب [53] .

6- التناص في ظل سلطة النص ، بقلم : محمد مصابيح [54] إلى آخر هذه المقالات التي تعد بالعشرات وهي مقالات يشوبها بعض التكرار كما أن بعضها كتب لغير المختصين ولذلك أحيانا يشوبها بعض التسطيح .

ثانيا : المستوى التطبيقي :

تكاد تكون الكتب التي ألفت في التناص تنتمي إلى هذا القسم التطبيقي لكن هذه الدراسات والكتب أخذت اتجاهات مختلفة فمنها كتب أو دراسات اقتصرت على عمل أدبي واحد وقد كان هذا العمل الواحد متنوعا فقد كان قصيدة كما في كتاب محمد مفتاح الذي اتخذ من قصيدة ابن عبدون منطلقا لتحليل خطابها الشعري مع بيان إستراتيجية التناص فيها ، كما كان العمل الأدبي رواية كما فعل بشير القمري في كتابه : شعرية النص السردي قراءة تناصية في كتاب التجليات ، ثم منها ما تناول أكثر من عمل أدبي كما فعل سعيد يقطين في كتابه (الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث) حيث قام بدراسة أربع روايات هي : (الزيني بركات لجمال الغيطاني ، وليالي ألف ليلة وليلة لنجيب محفوظ ، ونوار اللوز لواسيني الأعرج وليون الإفريقي لأمين معلوف) . ثم كان من الدراسات والكتب التطبيقية قسم ثالث تناول أعمالا أدبية وظف لدراستها مداخل نقدية كان التناص أحدها كما فعل صبري حافظ في كتابه : أصول الخطاب

([53]) وهو منشور على موقعه بتاريخ 2009/2/16م.

([54]) مقال منشور على موقع الجمعية الدولية الحرة للمترجمين واللغويين العرب بتاريخ 2010/3/3م .

السردي العربي : دراسة في سوسيولوجيا الأدب العربي ، ونظرا لأن الكتاب منشور بالإنجليزية فلن نتناوله بالدرس وإن كان الكتاب قد ترجم في المغرب [55] لكن الدراسات العربية كثيرة ومن خلالها نستطيع رسم صورة لاتجاهات دراسة التناص عند النقاد العرب.

أ- **الدراسات التي اقتصرت على عمل أدبي واحد وهو عمل شعري :**

تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص للدكتور محمد مفتاح [56] وقد استعرض فيه الباحث النظريات اللسانية ومدى صلاحيتها لدراسة الخطاب الشعري بدءا من التداولية ومرورا بالسيميائية وصولا إلى نظرية جاكبسون التي اعتمدت التقابل (شعر/ نثر) ثم محاولة تركيب من الباحث للنظريات المتقابلة المتناقضة مؤمنا بتعايش هذه العناصر في ظل النص الأدبي وقد قسم الكتاب إلى قسمين : أولهما : نظري تحدث فيه عن عناصر تحليل الخطاب الشعري وضم ثمانية فصول هي:

1- التشاكل والتباين وأنهما منقولان من الفيزياء ويظل يقرب المفهومين من الخطاب الشعري .

2- الصوت والمعنى وأن الصوت ليس مستقلا عن التركيب .

3- التشاكل والتباين على مستوى المعجم .

4- التشاكل والتباين على مستوى التركيب وتشويش الرتبة يؤدي إلى نتائج معنوية تداولية .

5- التركيب البلاغي وأن الخطاب الشعري ينبني على مادة هي الألفاظ التي تؤلف بينها آليات التركيب بنوعيه النحوي والبلاغي.

([55]) ترجمه أحمد بو حسن ونشرته دار القرويين 2002 م.-

([56]) المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1985م .

6- التناص هو الوسيلة التي تستوعب الآليات السابقة جميعا وتمططها .
7- التفاعل النصي .
8- المقصدية .

القسم الثاني هو: إستراتجية التناص وهو قسم تطبيقي قام الباحث فيه بتحليل رائية ابن عبدون التي يرثي فيها بني المظفر الأندلسيين من خلال الأسس التي حددها في القسم النظري من كتابه وقد كان وفيا لمنهجه إلى حد بعيد فقسم القصيدة إلى ثلاث بنيات رئيسية هي :

1- بنية التوتر . 2- بنية الاستسلام . 3- بنية الرجاء والرهبة .

راصدا ما يختلج هذه البنى من إحساس غنائي وملحمي ودرامي ، وقد كان الباحث في هذا التقسيم صدى للغربيين فإنهم قسموا أشعارهم إلى شعر ملحمي ودرامي وغنائي وعمل على توحيد هذه البنى الثلاثة للقصيدة بجملة وردت في أولها هي (الدهر حرب) وجعلها جملة نواة تختزل القصيدة كلها ، ومن الملاحظ أنه اختار نصا لا يمتلك إيحاءات فنية راقية تقل فيه الشعرية لأجل التاريخية فكثرت فيه التناصية التي كانت سببا في إعطاء الدراسة عنوانها ولكنها تناصات فقيرة أدبيا تسرد بالنظم لأخذ العظة والعبرة . ويمكن القول : إن الكتاب متميز في مادته النظرية وفيما قدمه من اجتهاد في دراسته التطبيقية حيث اشتغل مفهومي الاشتراك والتشاكل باعتبارهما تقنية جديدة تكشف مقاصد الشاعر الظاهرة والمضمرة .

* ومثله أيضا كتاب كاظم جهاد وهو باحث عراقي في بحث بعنوان : أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتحالية الترجمة يسبقها : ما هو التناص [57] ؟

([57]) صدر في منشورات إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1991م ، ط1.

جعل الفصل الأول : ما هو التناص ؟ لدراسة أحكام السرقات الأدبية في التراث العربي وسوى بين التناص والسرقات أما الفصل الثاني فهو لدراسة التناص في الأدب الغربي فعرض آراء لوترمان وجيني وغيرهما . أما القسم الثاني من الكتاب فهو يعرض لانتحال أدونيس (من ص79 – 231 نهاية الكتاب) لتطبيق مفهوم الانتحال على نصوص أدونيس الشعرية والنقدية ومن الملاحظ أنه دار في فلك حديث القدماء عن السرقات فذكر خمسة عشر نوعا من السرقات عند العرب وبدأ يطبقها على أدونيس وقد جعل التطبيق أربعة أقسام يسمى الأول : انتحال الشعر ويطبق مفهوم الانتحال على أدونيس وفي الفصل الثاني يناقش الانتحال النقدي عند أدونيس وفي الفصل الثالث يناقش الباحث أدونيس مترجما لبونفوا والفصل الرابع يدرس قيه : التفكك الذاتي للأثر الشعري .

* وكذلك كتاب أحمد طعمة حلبي : التناص : بين النظرية والتطبيق [58] شعر البياتي نموذجا وهو باحث سوري يجمع كتابه بين التنظير والتطبيق ففي الجانب النظري كتب بابا يشتمل على فصلين الأول عن التناص في النقد الغربي والثاني عن التناص في النقد العربي والباب الثاني يشتمل على ثلاثة فصول الأول عن مصادر التناص في شعر البياتي والثاني عن أشكال التناص في شعر البياتي والثالث عن الخصائص الفنية للتناص في شعر البياتي ولا يكاد الكتاب يخرج عن المألوف في الكتابات التناصية إلا في مجال التطبيق فحسب .

([58]) صدر في الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2007م .

ب- **الدراسات التي اقتصرت على عمل أدبي واحد وهو عمل روائي :**

وأول هذه الدراسات وأهمها :

- " شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات " لبشير القمري[59] وهو باحث مغربي قسم كتابه إلى قسمين : الأول نظري والثاني تطبيقي .

تناول في القسم الأول النظري (وهو مكون من إحدى وعشرين صفحة) مفهوم التناص وقد قسمه إلى أربعة أقسام هي :

1- مفهوم التناص : الطرح الإشكالي .

2- مفهوم التناص : الطرح النظري .

3- مفهوم التناص : الطرح المنهجي .

4- تناص اللغة / تناص الأجناس : حالة الرواية ويعد القسم الرابع أطول الأقسام فقد استحوذ على أربع عشرة صفحة من إحدى وعشرين .

تحدث الباحث في الطرح الإشكالي عن القيمة النظرية والجزئية لمفهوم التناص حيث نراه قد أخذ وضعه الاعتباري وبعده النقدي الذي أطر حدود التحليل البنيوي لمخالفته التي وضحت بين النص المغلق والنص المفتوح وهذا ما يدعو نظريا إلى ضرورة إحلال بنيوية علائقية محل البنيوية العازلة في تلقي النص الأدبي قراءة وتحليلا نقدا وتأويلا ثم انتقل الباحث إلى مقاربة البعد النظري للتناص فذكر تصوره عند القدماء وساوى بينه وبين السرقات الأدبية ويبدو أن الباحث اعتبر التناص مفهوما قائما بذاته في الثقافة الغربية القديمة . ثم عرض التصور

[59]) شركة البيادر للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1991م .

الحديث للتناص فذكر تصور رولان جيني الذي يجعل التناص يتم على الشكل والمضمون وأنه ظاهرة نقدية وأن المعالم الأولى للتناص من خلال العلاقات عند جيني تقوم على :

أ- نص مركز ب- نصوص أخرى وتتم عملية الاستيعاب والتحويل والتشرب . ثم ينتقل إلى تصور آريفي للتناص وهو بيان الجانب الوظيفي له وأن طبيعته إجرائية وبذلك يتمكن من حل إشكالية كبرى من مشكلات السيميائية وهي علاقة أي نص بالنصوص الأخرى . ثم يعرض الباحث لرأي ريفاتير وهو تصور يقوم على أن القراءة الخطية لا تنتج سوى المعنى النصي والمرجعي وأما التناص فهو منتج للدلالة لأنها نتاج العلائق بين الألفاظ والأنساق الشفوية الخارجية عن النص . ثم يتساءل الباحث : أين يتحقق التناص ؟ ويجيب برأيين متقابلين أولهما يفيد أن التناص ينتمي إلى الخطاب وليس إلى اللغة والثاني يؤكد على تناص اللغة ثم يميل إلى الرأي الثاني ثم يقول : إنه تصور أغلب منظري التناص ومنهم محمد مفتاح وكريماص وريفاتير وباختين ثم ركز الباحث على تصور باختين وأساسه أمران :

1- التناص في مستوى الخطاب واللغة . 2- تناص الأجناس .

ويقصد بتناص الأجناس أن أي جنس أدبي ينفتح على الأجناس المتاخمة بل على المستقلة عنه فيقول : إن كل جنس أدبي بإمكانه أن يندرج تحت بنية الرواية. والباحث يسلم مع باختين بأن الرواية جنس منفتح لأجناس أخرى (ويعد الفصل الأول محور الكتاب الرئيس إذ يناقش فيه الباحث التقليدية وحوار الأجناس ، مشيرا إلى الملامح التقليدية التي يمكن أن تتضمنها الرواية بوصفها جنسا أدبيا ، فاللغة ذات البعد الديني – ولاسيما الصوفي واللغة التاريخية على سبيل المثال – من أبرز

ملامح التقليدية في الرواية) [60] وأما الجانب التطبيقي فقد خصص الباحث فضاء مكونا من ست وثلاثين صفحة لتحليل التناص في الرواية "كتاب التجليات" وهو ينطلق في تحليله للتناص في هذه الرواية من ملاحظة أساسية هي عدم احتفاظ الحاكي بنظام ثابت يسير عليه نظام المحكي وانفتاحه ضمنيا على جملة ممكنات أدبية لتشييد معماريته ومبناه الحكائيين ثم محاورته لعدة أجناس متخلخلة تحتل بها الذاكرة العربية في نوع من التناص القصدي تجعلنا ننعت هذا الملمح بحوار الأجناس فالكاتب يوظف الموروث الشفوي في بناء خطابه ليصبح مكونا أساسيا في معيار الخطاب السردي ، وقد قسم الباحث النص الروائي إلى قسمين :

1- قسم يحفل بالكتابة النثرية الحديثة

2- قسم يحتوي سردية عتيقة مهجنة تجمع بكثافة بين عدة سجلات للكتابة التراثية القديمة كأدب الرحلات والتاريخ والحديث النبوي والسيرة الشعبية والرسائل الإخوانية والفلسفة بالإضافة إلى ما يسميه الباحث مظاهر التناص الشكلي ، الذي يحضر من خلاله كثافة البناء النصي ، الذي يعتبره الباحث موقفا شكليا ورؤيويا وبذلك يتحول التناص من مجرد تعالق النصوص إلى حوارية متعددة تتجاوز حدودها الشكلية لإحلال الغير في تكوين النص) [61]

- * ومن الدراسات التي اقتصرت على عمل روائي واحد أيضا بحث أحمد الزعبي المسمى : التناص التاريخي والديني : مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية

([60]) التناص بوصفه ممارسة : مراجعة لمنجز الرواية العربية ، معجب العدواني 2 / 2 ، مقال منشور بجريدة الرياض السعودية بتاريخ 21 / 12 / 2009م .

([61]) التفاعل النصي : انفتاح النص الرائي ، د/ المصطفى الدقاري ، مقال على الشبكة الدولية بتاريخ 2010/9/9 م ،من موقع الجمعية المغربية للغويين والمبدعين .

في رواية : رؤيا لها لهاشم غرابية [62] وقد وظف عددا من المصطلحات العربية –كالاقتباس والتضمين – بوصفها جذورا للتناص ليسخرها للكشف عن علاقات تناصية مع المصادر التاريخية والدينية في نص هاشم غرابية : (رؤيا لها) .

- * ومن الكتب التطبيقية التي تناولت عملا روائيا واحدا دراسة بعنوان : التناص التراثي في : حدث أبو هريرة قال ... لمحمود المسعدي وهي رسالة ماجستير من إعداد الباحثة : زهرة خالص 2006م جامعة الجزائر وبحثها يتكون من ثلاثة فصول قبلها مدخل عن : ماهية النص ، والفصل الأول بعنوان : التراث والتناص ؛ عرفت التراث ثم عرفت التناص عند العرب ثم عند الغرب ، و الفصل الثاني عن دراسة الأشكال التراثية ورموزها المتجلية في رواية : حدث أبو هريرة قال ، والفصل الثالث : دراسة للتناص الأسطوري والأدبي والديني والوجودي في رواية : حدث أبو هريرة قال ، وختمت بملحقين : أحدهما : تعريف بمؤلف الرواية : محمود المسعدي ، والثاني : مسرد بأهم المصطلحات الواردة في البحث.

جـ . **الدراسات التطبيقية التي تناولت أكثر من رواية** من منظور التناص فأهمها :

1ـ الرواية والتراث السردي : من اجل وعي جديد بالتراث، سعيد يقطين [63] وقد قسم الباحث الدراسة إلي قسمين :قسم نظري وآخر تطبيقي ففي الأول تحدث عن أمرين :

1التناص في المرجعية الغربية .

([62]) مجلة أبحاث اليرموك ، عدد 1 ، ص ص 169 – 200 ، 1995م .

([63])مجلة أبحاث اليرموك ، عدد1، ص169-200 ، 1995م .

2ـ التناص في تصوره هو وينطلق الباحث في إيضاح التناص من خلال تصوره لمفهوم النص ثم التمييز بينه وبين الخطاب وعمل في التفاعل النصي على تفكيك النص بهدف معاينة علاقة النص بغيره من النصوص التي عمل على تمثلها واستيعابها وتحويلها في بنيته النصية لتصبح جزءا أساسيا في بنيته وبنائه ، ويستخدم الباحث مصطلح التفاعل النصي تعبيرا عن التناص لكون التناص في مفهومة إلا نوعا واحدا من أنواع التفاعل النصي ثم يتحدث بعد ذلك عن تاريخ المصطلح بدءا من تصور كريستيفا ثم الندوة التي عقدت في جامعة كولومبيا ونشرت في مجلة الأدب وقدم دراسات لكل من لوران جيني ولوسيان ديلنباخ وليلي بيرون موزاي وريفاتير وبول زيمتور وبتروديسبوفسكي وكارل ويني وماري روز لوغان ثم قدم تصور جيرار جينيت ثم قدم خمسة أنماط من التعالقات النصية هي : التناص – المناص – الميتانص – النص اللاحق – معمارية النص . ثم عدد الباحث ثلاثة أشكال من التفاعل هي التي حددت تصوره للتفاعل النصي هي : 1- التفاعل النصي الذاتي : وهي تفاعل نصوص الكاتب الواحد مع بعضها البعض 2- التفاعل النصي الداخلي وهي تفاعل نصوص الكاتب مع نصوص معاصرة 3- التفاعل النصي الخارجي وهي تفاعل نصوص الكاتب مع نصوص سابقة . ولم يقف الباحث موقف العارض للتصورات بصورة سلبية بل كان ايجابيا فهو يحدد أحيانا نقاط الاتفاق والاختلاف بين التصورات ويشرح ما يحتاج إلى الشرح وبالتالي بدأ بالفكرة من حيث كانت إرهاصات للمفهوم مرورا بوضوح البعد النظري لهذا المفهوم وصولا إلى بناء تصور الباحث الخاص لهذا المفهوم حيث استخدمه بعد ذلك بهذه الصورة التي استقر عليها .

أما في الجانب التطبيقي فقد تناول أربع روايات هي : الزيني بركات لجمال الغيطاني ، وليالي ألف ليلة وليلة لنجيب محفوظ ، ونوار اللوز لواسيني الأعرج وليون الإفريقي لأمين معلوف وقد قسم الجانب التطبيقي إلى أربعة أقسام هي :

1- البنيات النصية 2- النص والتفاعلات النصية.

3- أنواع التفاعل النصي 4- أشكال التفاعل النصي ومستوياه .

وقد تحدث في البنيات النصية عن علاقة النص بالنصوص الأخرى من خلال التفاعل ثم تحدث عن المتفاعلات النصية من خلال تصنيفها إلى : أ- متفاعلات قديمة (تاريخية – دينية – أدبية) ب- متفاعلات حديثة (تاريخية – إعلامية – أدبية – ثقافية) ويستثني رواية الزيني بركات من المتفاعلات الحديثة ويدرج باقي الروايات ضمن هذه المتفاعلات ثم يتحدث عن أنواع التفاعل النصي ويجعلها ثلاثة هي : المناصة – التناص – الميتانصية ، فالمناصة هي عملية التفاعل ذاتها وطرفاها الرئيسيان هما : النص والمناص وأما التناص فيحدد بأننا في التناص كعملية نجد المتناص يأتي مندمجا ضمن النص بحيث يصعب على القارئ غير المكون أن يستطيع تبيين وجود التناص . وأما الميتانصية فيحددها بكونها تُشبَّه كعلاقة بين النص والميتانص من حيث طبيعتها التركيبية والبنيوية المناصة . وفي أشكال التفاعل ومستوياته ذكر ثلاثة أنواع هي : الذاتي والداخلي والخارجي وأما المستويات فذكر مستويين هما : المستوى العام والخاص . وقد اعتمد الباحث على مصطلحات جيرار جينيت وقد اتسمت دراسته بالدقة والمنهجية وتقديم المصطلحات التناصية في وضوح كامل .

وإذا كنا قد تناولنا كتاب سعيد يقطين بشيء من التفاصيل فإننا نشير في إجمال إلى كتب أخرى نحتْ المنحى نفسه وهي : تداخل النصوص في الرواية العربية

بحث في نماذج مختارة لحسن حماد [64] وقد تناول فيه ثلاثة أعمال روائية مصرية هي : حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي وأحلام شهر زاد لطه حسين وذات لصنع الله إبراهيم وقد قسمه أيضا قسمين : قسم نظري اعتمد فيه على أعمال كريستيفا ورولان بارت وجيرار جينيت وجاك دريدا وفي القسم الثاني طبق على الروايات الثلاثة وهي دراسة جيدة في ميدانها

[64]) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1998م .

المبحث الثاني
خصائص التأليف في التناص عند النقاد العرب

لعلنا – فيما سبق من أوراق وقفنا على أن أبرز اتجاهات التأليف في التناص عند نقادنا المعاصرين من العرب وذلك من خلال دراسة في التناص سواء منهم من درس المصطلح دراسة نظرية أو دراسة تطبيقية بيد أن هذه الدراسات كلها كانت تجمعها خصائص أو على أقل تقدير تجمع معظمها خصائص نستطيع أن نبينها عند قراءة هذا الإنتاج الضخم في موضوع التناص ومن هذه الخصائص :

1- تميزت الفترة الأولى من التأليف في التناص بأنها مرحلة صراع لامتلاك المصطلحات وترجمتها أكثر من إرادة البحث عما بين هذه المصطلحات الجديدة وبين تراثنا من وشيجة بل إن هذه المصطلحات أطل التسابق إليها ترجمة متسرعة حسبما يتراءى للناقد الذي يدرسها و كأنه في سباق ولهذا اختلفت الترجمات العربية لمصطلح التناص هذا .

2- كذلك كانت الفترة الأولى لدخول مصطلح التناص إلى النقد العربي المعاصر مرحلة خلط بين المصطلح وما يقابله في نقدنا العربي القديم فالبعض ساوى بينه وبين الاقتباس والتضمين والبعض رفض ذلك وألحقه بالنقائض التي كانت في العصر الأموي وفريق ثالث أدخله باب السرقات ورابع جعله من نقد المصادر والتأثيرات... إلخ وعلى الرغم من اتساع رقعة الدراسة العربية للتناص حيث شملت جميع البلاد العربية في الوقت الحاضر إلا أننا ما زلنا نرى بين الحين والآخر من لا يزال يساوي بين التناص والاقتباس أو بين التناص والسرقات أو النقائض وغيرها مع أن مصطلح التناص أوسع من هذه كلها وسوف نتناول هذه القضية بشيء من التفصيل عند الحديث عن توطين المصطلح .

3- تتسم بعض الدراسات العربية للتناص بالغموض والاضطراب وتعدد الدلالات وهذه الأمور ناشئة عن عدة أمور منها : أ- الاضطراب التناصي في الأصول الغربية فحتى الآن لم يتفق عند الغربيين على تعريف واحد ثابت للتناص في النقد الغربي . ب- تعدد التيارات النقدية التي تعاملت مع المصطلح من بنيوية وتفكيكية وسيميائية وأسلوبية . ج- اختلطت بعض الترجمات للنصوص الغربية مع الشرح بصورة متداخلة فيصبح القارئ في حيرة لا يستطيع معرفة حدود النص الأصلي من الشرح والتأويل والفهم الذي يقدمه صاحب الترجمة . د- كأن البعض يكتب في التناص كتابة تنقل المفاهيم بشكل حرفي ويطبقها كذلك بصورة حرفية دون تدخل للتوضيح والتفصيل حتى يقربه للقارئ وهذا كان يسهم في الغموض المكثف بالمصطلح أيضا .

وقد ترتب على هذا الغموض عند الغربيين وعند النقاد العرب غموض آخر ظل مرافقا للمصطلح كلما ذكر وسوف نعود لذلك .

4 – يعد الدارسون المغاربة أسرع من الشرقيين في التواصل مع المناهج الغربية ومنها التناص ويعود ذلك التواصل السريع لأمور منها : أ- شيوع الثقافة الغربية في بلادهم إذ أن كثيرا منهم أعرف بالفرنسية أكثر من أية لغة أخرى بل في بعض الأحيان أكثر من لغتهم الأم وإذا كان نشوء هذا المصطلح وترعرعه في فرنسا فإننا لا نستغرب سرعة ترجمة الكتب التي ألفت في التناص وفي المناهج الغربية ولا نستغرب أيضا التفاعل مع هذه المناهج أسرع من الشرقيين . ب- قرب المغاربة من هذه البلاد الأوروبية بحكم الموقع وبحكم الدراسة فلا تكاد تجد دارسا لم يذهب إلى فرنسا أو غيرها من الدول الأوروبية وهذا يجعل الدارس محيطا بالسياق الثقافي الذي ينتمي إليه هذا المنهج الغربي .

5- تتسم الدراسات النظرية في موضوع التناص بالاجترار والتكرار فمع مرور الزمن استهلك الجانب النظري للتناص حيث قام أوائل النقاد العرب المحدثين بالنقل عن الغربيين فيه وتكرر عند كل من كتب في التناص أن يتناول التناص عند الغربيين ثم عند العرب قدماء ومحدثين وصار ذلك سمة في كتب التناص كلها أو على الأقل معظمها في الجانب النظري وهذا أمر طبيعي لأن الجانب النظري لا يزيد ولا يتوالد.

6- يتسم الجانب التطبيقي بأنه تطبيق شكلي لا يصل إلى روح النص مع أن المناهج التي تتعامل مع النص مهمتها تنوير هذا النص إلا أن الذين يطبقون هذه المناهج اكتفوا بالناحية الشكلية فلم يصل النقاد العرب المحدثون إلى قضية تفاعل النصوص التي تعد أهم شيء في منهج التناص وإنما اكتفوا بالإشارة إلى التحريفات اللفظية والاشتقاقات والتمطيط والعكس والنظر للعنوان والمقدمة والإهداء والخاتمة وكل هذا لم يتصل بالنص الأصلي والجوانب الفكرية والفنية للتناص بل إن بعض الدارسين وقف عند حدود التناص الظاهر الذي يمكن أن يلحق في ثقافتنا العربية بالاقتباس والتضمين وجعل ذلك غاية وكده من دراسة التناص وهنا لابد أن نشير إلى الجهد الرائد الذي قام به بعض الدارسين الذين وصلوا من الناحية الشكلية متطورين إلى تفاعل النصوص كما في دراسات محمد بنيس وسعيد يقطين ومحمد مفتاح وغيرهم .

7- كما يتبدى في الجانب التطبيقي – في الغالب – محلية النصوص المدروسة فالناقد ينتقي النصوص المدروسة محليا من قطره الذي ينتمي إليه ولعل ذلك يعود إلى تأثر الناقد بهذا الأديب كما أن الحدود تحد قليلا من اطلاع الناقد على أدب بقية الدول الأخرى باستثناء الأدباء الذين شاع ذكرهم وذاع صيتهم فنجدهم حاضرين في دراسات النقاد بيد أن بعض الأعمال الأدبية التي نالت من الشهرة والذيوع تكون مجالا لدراستها من ناحية التناص على الرغم من عدم معرفة قائلها

كما في ألف ليلة وليلة التي كانت بلا منازع الأكثر تأثيرا في الدراسات التطبيقية عند النقاد العرب المعاصرين .

8- ظلت الدراسات التناصية إلى وقت قريب تعمل في جزر منعزلة لا يشير اللاحق فيها إلى السابق ولعل هذا له علاقة بمحلية الأعمال لتي يتناولها الناقد ، ولكن في فترة متأخرة صار النقاد يتناولون السابقين في الحقول التناصية بالعرض المختصر لأعمالهم وخصوصا في الدراسات النظرية .

المبحث الثالث

التناص بين الشعر والرواية

قضية الأجناس الأدبية وعلاقة التناص بها هي ما يهمنا الحديث عنه في هذا المبحث غير أننا نقدم بمقدمة عن الأجناس الأدبية وما بينها من اتصال وانفصال وهل هناك ما صار يعبر عنه بتداخل الأجناس الأدبية وتمهيدا لذلك نتناول قضية التداخل في التراث وصولا إلى العصر الحديث .

1/3 عرف التراث الحديث في قضية تداخل الأجناس الأدبية أو عدمه مبكرا مع فجر التأليف الأدبي عند العرب وبعضهم يرجع هذا التداخل إلى العصر الجاهلي حيث كانت القصيدة العربية تختلط بالقصة وبالأسطورة وغيرها ما عرف عند الجاهليين بالاستقصاء النمطي [65] حيث يستقصي الشاعر وصف دقائق الأمور وهذا الاستقصاء أشد ارتباطا بالقصة والرواية دون الشعر فإذا أردنا أن نتحدث عن ظاهرة تداخل الأجناس الأدبية سوف ننظم هذا النمط من القص والاستقصاء كجذور إبيستمولوجية لهذه الظاهرة أما قضية التأليف فيها فتأخرت نظرا لشفاهية الفترة الجاهلية والإسلامية الأولى حتى أتى العصر العباسي وبدأت قضية التأليف بيد أن الموقف النظري اختلف عن الموقف العملي فاختلف التأليف عن الممارسة فبينما كانت الممارسة تبيح للشاعر الجاهلي أن يقص وللخطيب أن يدخل أبياتا في خطبته نجد التأليف يمايز بين نوعي الأدب شعره ونثره فنجد إشارات في كتب المتقدمين في التأليف مفرقة بين طبيعة كل من الشعر والنثر حتى نجد الأمر صريحا عند ابن طباطبا الذي يجعل تعريف الشعر مشتملا على هذا التفريق يقول : (

([65]) هناك بحث منشور للدكتور : عيد بلبع بعنوان : ظاهرة الاستقصاء في الشعر الجاهلي منشور بكلية الآداب جامعة المنوفية إبريل 1994م .

الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم) [66] بل إنه يتطرق إلى الجانب التكويني فيجعل النثر مرحلة من مراحل تكوين النظم حيث يولد الثاني من الأول على نحو مخصوص وهيئة معلومة يقول : (إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه) [67] وكذلك نجد الفارابي يجعل الخطبية سابقة على الشعرية [68] ونصوص أخرى كثيرة تجعل مسألة تداخل الأجناس مرفوضة حيث جعلوا نوعا من التناظر بين الشعر والنثر وكلام علمائنا الكرام عن المفاضلة بين الشعر والنثر إنما هو عبارة عن (مباحث تكتنفها أحكام القيمة من كل جانب وتفرض عليها النوازع والأهواء هموما معيارية عدت بموجبها المقارنة مفاضلة وأصبح التلازم تدافعا والمقايسة ترجيحا) [69] وكأن هذه الإشارات والكتابات تدعو إلى نقاء الأجناس وضرورة أن يتمايز كل منها عن الآخر بيد أن الممارسة – كما أسلفت – حدث فيها هذا التداخل وظلت هذه الدعوة إلى المفاضلة بين هذين النوعين الأدبيين قائمة على ألسنة النقاد حتى مرت بأبي هلال وابن رشيق وأبي حيان صاحب الإمتاع والمؤانسة فابن وهب الكاتب حتى وصلت عصر ابن خلدون الذي تحدث

([66]) عيار الشعر ص9 .
([67])نفسه ص11
([68])كتاب الحروف ص141.
([69])المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث العربي ودلالاتها ، د/ حمادي صمود ، بحث مقدم ضمن أعمال ندوة : قراءة جديدة لتراثنا النقدي 1988م ، النادي الثقافي الأدبي ، جدة، السعودية المجلد الآخر ص609-640 .

عن ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر [70] لكن يلاحظ أن تناول القضية ظل يدور حول القيمة وأحكامها وأسبابها وغير ذلك .

وحين نتحدث عن العصر الحديث سنجد أن الأجناس الأدبية تداخلت إنْ على نطاق الممارسة أو على نطاق التنظير فعلى الرغم من الفروق بين الأجناس الأدبية[71] إلا أن النقاد يكادون يجمعون على التداخل وأنه لا نقاء لأي جنس أدبي .

لقد هدمت الجدر التي كانت تمثل فواصل بين الأجناس الأدبية التي كانت تحفظ المسافات بينها بشروط واضحة وصارمة تحيل كل نص أدبي إلى جنسه الإبداعي دون عناء ، فلما أنشأ الأدباء النص المزاوج قدموا شكلا يحرج النقاد إذا أرادوا نسبته إلى نوع من الكتابة بعينه ولعل قصيدة النثر أقرب مثال على هذه المزاوجة وبقدر تخفف الأجناس الأدبية من شروطها الصارمة نجد أنها أفقدت النص نقاءه ، وبما أن الناقد القديم كانت أدواته النقدية تقوم على تصنيف النص وتجنيسه ثم

([70]) المقدمة 1123.

([71]) يفرق النقاد بين الأجناس الأدبية كالشعر والرواية مثلا بأن الشعر ابن الذات متعلق بالجانب الشخصي للأديب وخاصة الشعر الغنائي الذي ينتمي إليه معظم الشعر العربي ، أما الرواية فهي ابنة المجتمع (فالشعر والرواية يفترقان في مفهوم الحقائق الفنية المستقاة منهما ؛ فالحقيقة في الشعر هي تصور الروح الإنسانية بصدق ، بينما الحقيقة في الرواية هي إعطاء صورة حقيقية للحياة ، كلاهما مختلف ، ويأتي بطرق مختلفة ، لأشخاص مختلفين في الغالب) { الفروق بين الأجناس الأدبية : المسرح الشعر – الرواية ، فؤاد أحمد البراهيم ، جريدة الوفاق 2238 بتاريخ 2005/4/9 م } كذلك تكمن المتعة في الرواية من خلال المتابعة ، أما الشعر ففيه استثارة مستقاة من واقع مثلا أو من خيال ؛ فالرواية متعتها في المتابعة ، وأحداث الرواية ، وسلسلة الظروف المحيطة ، أما الشعر فمصدر الانفعال المستثار هو عرض لحالة ، أو حالات تنتمي للفكر الإنساني ... إلخ الفروق المذكورة .

الشروع في نقده فقد صارت هذه الطريقة الآن بحاجة إلى مراجعة فالأمر لم يقتصر على المزاوجة داخل النص الأدبي الواحد بل ثمة مبدعون ينتقلون بين الجناس الأدبية للتجريب فأصبح الأديب موسوعيا لا يقنع بتسميته شاعرا أو روائيا أو قاصا لكن هذه النوعية من الأدباء بحاجة إلي أمر مهم هو الموهبة التي تدعم ذلك وإلا صار مسخا مذبذبا لا إلي هؤلاء ولا إلي هؤلاء علي أن البعض ينكر هذا الأمر مع الموهبة أيضا لما فيه من تشتيت لقدرة الأديب وتضييع جهوده وهو اعتراض وجيه أيضا لأن هذا التنقل يكون على حساب التخصص في مجال إبداعي معين إذ إن التخصص يشكل تجربة إبداعية متكاملة لكننا نعود فنقول : قد يكون الجو الإبداعي والظروف المحيطة بالأديب هي التي تشكل جنس الكتابة أحيانا ، كما أن النص المتعدد الأجناس أصبح في عرف الكثيرين هو النص الأكثر جمالا وعلى كل حال فالمسألة نسبية فالأديب إن كان ذا موهبة فنية عالية تستطيع الإسهام في الأجناس الأدبية مع عدم تكرار نفسه فلا شك يصبح أفضل. ولعل هذا التداخل هو ما دفع كثيرا من النقاد إلي الفرار من تحديد الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص هذا أو ذاك وأطلقوا علي النص مصطلحات أخرى مثل : الإنتاج الأدبي أو العمل الأدبي أو الأثر الأدبي وقد يستعيضون عن تسمية الجنس بذكر : النص أو الخطاب فأدى التمرد على الحدود الفارقة بين الأجناس الأدبية إلى رواج مصطلحي النص والخطاب لكون تسمية الأجناس الأدبية قاصرة عن تحديد الخصائص البنيوية للنصوص.

لكننا هنا نشير إلى أن هذا التداخل يثير أسئلة عديدة منها : ألا يمثل التداخل نوعا من التعالي النصي ؟ ألا يخلق التداخل نوعا من التهجين الإستطيقي و التناصي ؟ ألا يعمل هذا التداخل على اكتساب خصائص شكلية وبنيوية جديدة ؟ ألا يعمل

النص الهجين على كسر مألوفية النص الموروث ؟ ألا يهدد هذا التداخل التلقي وأشكاله ؟ ... إلخ . الأسئلة التي تثار من جراء تداخل الأجناس الأدبية .

وما دمنا قد تحدثنا عن التداخل فإننا نسأل هنا سؤالا مهما مؤداه : أي الأجناس أولى بقضية التناص أو بلفظ آخر أي الأجناس يتبدى فيه التناص أكثر من الأجناس الأخرى ؟ ولا نستطيع هنا الجزم بأن جنسا أولى بقضية التناص من جنس أدبي آخر إلا أننا نجد الرواية أولى من غيرها بممارسة أوسع للتناص من خلال عدة أمور : 1- أن السرد –كما ذكر رولان بارت – يشمل مختلف الخطابات سواء أكانت أدبية أو غير أدبية [72] فالرواية تتسع لأجناس أدبية أخرى وقد تحتويها في داخلها إذ أن مؤلف الرواية قد يدخل فيها شعرا وقد يدخل فيها الحوار ويدخل فيها القصة القصيرة وغير ذلك من الأجناس الأخرى فهذا الاتساع الكبير للرواية يجعل احتواءها للتناص أكثر .

2- حرية الراوي وانفلاته من الوزن والقافية تجعل الراوي يتعايش مع التناص بصورة أكثر من الشعر ذلك أن الشعر الذي يلتزم بالوزن والقافية لا يتوفر فيه التناص بالقدر الذي نجده في الرواية .

3- طول الرواية كذلك يجعلها مشتملة على تناصات مختلفة وكثيرة ذلك أن ثقافات الراوي تجعله يتناص مع تراثه أو مكونات ذاكرته من خلال ما ثقف به نفسه سواء أكانت هذه الثقافات دينية أو أسطورية أو تاريخية أو غير ذلك حيث إن تقنية التناص تعتمد على إلغاء الحدود بين النص والنصوص أو الوقائع أو الشخصيات التي يضمنها الأديب نصه الجديد حيث تأتي هذه النصوص موظفة ومذابة في النص فتفتح آفاقا أخرى دينية وأسطورية أو أدبية وتاريخية عدة مما يجعل

[72]) مقدمة للتحليل البنيوي للمحكيات ، رولان بارت ، ترجمة : دكتور غسان السيد .

من النص ملتقى لأكثر من حدث وأكثر من دلالة فيصبح النص غنيا حافلا بالدلالات والمعاني والإنسان لا ينفك من شروطه الزمنية والمكانية ومحتوياتها .

4- ينطلق ميخائيل باختين من التسليم بعدم اكتمال الجنس الأدبي وانفتاحه على أرباص محيطات مختلف الأجناس الأدبية المتاخمة له أو التي تتشكل وتنمو مستقلة عنه فقد ذكر أن كل جنس أدبي بإمكانه أن يندرج داخل بنية الرواية . فالرواية – حسب باختين – جنس منفتح يستضيف أجناسا أخرى ولغات أدبية متفاعلة إما كنسق روائي أو كبناء قصدي يتحرك فيه وعي الأديب وعلى هذا الأساس يتحدث باختين عن تناص اللغة وتناص الأجناس.

وهنا سؤال آخر يمكن طرحه ثم الإجابة عليه هو : هل انتساب نص إلى جنس أدبي مبرر كاف لعقد علاقة تناص بينه وبين سائر النصوص المنتسبة إلى الجنس الأدبي ذاته ؟

يرى "**ريفاتير**" Riffaterre أنّ تضمّن نصّ ما عناصر يُتعرّف فيها على وجه القرائن الأجناسية يدعو ضرورة إلى مقارنته بنصوص تناظره أجناسيا، بل هو يذهب إلى أنّ بعض النصوص ليس لها من وجود خارج التوجّه المقارنيّ ذلك شأن "الهايكو " الياباني وكلّ الآداب الكلاسيكية ، وهكذا فإنّ "العلاقات الخطرة" هي في علاقة تناصّ لا مع عمل خاصّ فحسب هو "إيلويزا الجديدة" بل مع جنس أدبيّ خاص هو جنس الترسّل وجملة النصوص التي تظهر استئناف هذا الشكل المقنّن ، وهو يرى أيضا أن إعادة استعمال شكل ثابت مثل " موشّح السونيت " يحكم العلاقة التي تنعقد بين جملة النصوص التي تجري في هذا الشكل.

أما **جريماس Greimas** فإنه لما كان يأمل تهذيب تجليات علاقات التناص التهذيب الذي يكسبها مزيدًا من الدقة ؛ فإنه قد ذهب – خلافًا لما ذُكر آنفًا – إلى أن تضمّن النصوص العديدة الأبنيةَ الدلالية أو النحوية الواحدة المشتركة في نمط أو جنس من أجناس الخطاب لا يمثّل قرينة تناص بينها . إنّ ادعاء نقيض هذا يؤدّي في نظر جريماس إلى نفي وجود خطاب اجتماعي أو خطاب سيميائي يتعالى على التواصل بين الأفراد . فإذا ما كنّا لا نتحدث عن تناص عندما يستعمل متخاطبان اللغة ذاتها بدعوى توسلهما بنظام مشترك ، فإن استثمار الأبنية المشتركة ، يعلن فحسب انتسابَ صنوف من الخطاب مختلفةٍ إلى جنس واحد ولذلك فإن **جريماس** يؤكد في حد التناص على ضرورة تحويل النموذج المشترك .

ومن المسلم به أن باختين تحدث عن الحوارية التي يرى البعض أنه يقصرها على النثر وعلى الرواية بشكل خاص دون بقية الأنواع النثرية وبالتالي فكأنه أخرج الشعر من الحوارية ويعلل هؤلاء الباحثون لذلك بأن رأى باختين يعود إلى العشرينيات من القرن الماضي وأن الشعر قد أصبح مجالا للتناص أو للتداخل النصي منذ لوتريامون الذي سحبه باتجاه الرواية وما كان للشعر أن يدخله التناص لولا بعض التنازلات التي قدمها كالتخلي عن الغنائية المسرفة وتخطيها إلى الأجناس الأدبية الأخرى أو بتعبير آخر بانفتاحه وتداخله مع أجناس موضوعية أخرى كالقصة والدراما وبخاصة قصيدة القناع التي قربته من النثر فأصبح مؤهلا لأن يدخله التناص تماما كما يدخل التناص النثر الفني .

ولابد هنا أن نشير إلى أمر مهم يتلخص في أن باختين لم يخرج الشعر من دائرة التناص إنما أخرجه من الحوارية وهناك فرق بين المصطلحين – حسبما أفهم – فالحوارية أصبحت أوسع من التداخل النصي أو التناص من جهة اختصاصها بالأسلوب النثري وهي تخضع لبلورة فنية كما أن التناص وليد للحوارية التي نادى

بها باختين أما التناص فكريستيفا تعتبره جهازا عبر لساني يعيد توزيع نظام اللغة على أنه يتحدد عن طريق تبادل النصوص أي بالتناص وبناء على ذلك فإنها لا تحصر التناص في النصوص الأدبية فحسب ولكن توسعه ليشمل النصوص العلمية والخطابات السياسية ويصبح تقاطع النصوص هو المشكل لفضاء النص . على أن تودوروف في دراسته للمبدأ الحواري في فكر باختين دمج بين مصطلحي الحوارية والتناص ومثل ذلك فعل د/ سعيد يقطين في كتابه : الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد للتراث ، فتودوروف ويقطين دمجا المصطلحين في مصطلح واحد يعترفان بسعته هو التناص [73] فصيغة الحوارية يمكن أن توجد داخل الإنتاج الشعري لكن المسوغ الحواري لا يستخدم في الخطاب الشعري بطريقة أدبية مثلما يستخدمه في الرواية لأن الشاعر موثق ومحدد بفكرة لغة واحدة فريدة وبملفوظ منغلق على منولوجه كما أن الإيقاع في لغة الخطاب الشعري يقتل التعددية ذلك أن طبيعة الخطاب الشعري بما فيها من الوحدة اللغوية والانغلاق الأسلوبي وتفرد اللغة الشعرية لا يسمح لتعددية الوجوه والعوالم المحتملة داخل الخطاب فإذا ظهرت هذه التعددية داخل الشعر يتحطم ويتحول إلى نص كما يرى باختين وهذا ما يعرف بالتهجين أو بتداخل الأجناس وقد سعى الشعراء إلى تضييق المسافة بين الشعر والرواية – وبخاصة من قرأوا رأي باختين – فنشأت قصيدة النثر وقصيدة القناع والمنولوج الدرامي وغيرها لتقف هذه الأنواع بين نصين مذبذبة الجنس فلا هي من الشعر الغنائي الخلص ولا من النثر القصصي الخالص وظلت القصيدة الغنائية – التي حاول أصحابها تقريبها من التعددية – حائرة لم تغادر لغتها وحدانية الصوت

[73])ينظر : المبدأ الحواري ، دراسة في فكر ميخائيل باختين ، ترجمة فخري صالح دار الشؤون الثقافية العامة ، ...

إلى لغة بوليفونية متعددة الأصوات كما نجد في الرواية النثرية إذ أن الوزن والإيقاع واللغة الخاصة الموحدة تمنع التعددية اللسانية أو الاجتماعية وبالتالي نحن نرى أن الرواية هي الأجدر بالتناص لأنها هي الجنس الوحيد الذي يزخر بالتفاعلات النصية والتداخلات الحوارية والتعالق التفاعلي [74] وتعتبر الرواية أيضا الجنس الوحيد الأكثر انفتاحا على الذات والموضوع والنصوص السابقة والراهنة تعالقا وتفاعلا وهي كذلك جنس أدبي تنصهر فيه كل الأجناس والأساليب والخطابات النصية فهي مظهر بارز للتناص والتداخلات المناصية وتكاثر المستنسخات والإحالات والأصوات الأجناسية . وليس معنى قولنا هذا أن ننفي عن الشعر التفاعل والتداخل النصي ولكن نشير إلى أن الرواية يكون التناص فيها أعمق وأكثر لما سبق من أسباب وهذا ما جعل باختين وكريستيفا إلى أن يهتما اهتماما كبيرا بهذا الجنس فانكب باختين على روايات دستوفسكي وكريستيفا على سيميائية الخطاب الروائي. وبعد دخول التناص الأراضي العربية وشيوعه منهجا أضحت الرواية متنا مناسب لفحصه ودراسته فأنجز الكثير من الدراسات النقدية التي ركزت على دراسة الرواية العربية للبحث في العلاقات التناصية سواء منها ما كان تطبيقا تناول عدة روايات أو اقتصر على رواية واحدة من منظور تناصي أو الدراسات التي وظفت بعض المداخل النقدية كان التناص أحدها والتي تناولت الرواية العربية وقدمت عدة شظايا نقدية حول التناص .

---

[74])على حد قول د-/ جميل حمداوي ، آليات التناص ، مقالة على الشبكة الدولية interne وقد عزا هذا الكلام إلى كثير من المنظرين والدارسين أمثال : ميخائيل باختين وكريستيفا وكريماس وبارت وتودوروف وجينيت .

المبحث الرابع
التناص من التعريب إلى التوطين : رؤية تقويمية

توطين النظرية النقدية :

لقد أدى احتكاك العالم العربي بالغرب إلى ما بات يعرف بالرحيل المعرفي بين الشرق والغرب فأخذت النظرية النقدية حظا من هذا الاحتكاك فأعطت وأخذت بيد أن أخذها كان أكثر وقد نتج عن هذا الأخذ تغير جذري في المفاهيم الأدبية وفي أساليب التفكير النقدي وفي التردد – أحيانا – بين هذا الجديد الوافد وبين التمسك بهذا القديم الموروث حتى أننا نستطيع القول إن هذا الاحتكاك مع الغرب قد أدى إلى إعادة النظر في مشروعنا الثقافي العربي ، وقد أتيح للذين خاضوا تجربة التفاعل مع الغرب أن يسهموا في تأسيس نظرية نقدية حديثة وفي تمثل النظريات الجديدة ومحاولة توطين هذه النظريات الجديدة في النقد العربي المعاصر إذ أنه من غير الممكن أن تتغير التركيبة الثقافية والمفاهيمية لدى الأفراد والأمم وتبقى في حركية دائمة بناء على ما يجدّ يوميا من عناصر في معالجة القضايا وتحليل المشكلات وفي طرق التفكير أيضا أقول : من غير الممكن أن يحدث ذلك ونظل نحن لا نراوح مواضعنا بل إن صوت العقل يقضي بأن نربط بين الموروثات العربية – أي لا نعلن قطيعة مع التراث – وبين ما استحدث من نظريات أخذت الآن صفة العالمية بل الكونية أحيانا .

وقد انبرى فريق نقادنا المعاصرين للنظريات الغربية ترجمة ودرسا ونقدا وتطبيقا على تراثنا العربي حتى امتلأت أرفف المكتبات العربية بمثل هذه الدراسات لكن بقي في ذهن كل من يتاح له الاطلاع على هذه الدراسات سؤال يطرح نفسه

على المثقفين والنقاد مؤداه : إلى أي حد استطاعت النظريات الغربية أن تنال إقامة في بلادنا العربية ؟ وهل نستطيع أن نمنحها شهادة جنسية (أو صفة مواطنة) حتى تصير منا أم أنها ستظل غريبة مطاردة في بلادنا تجد من يحسن إليها والأغلبية تدفعها وتقهرها وتنهرها ؟ تحت زعم أنها غريبة تبقينا في دوامة الثنائيات القاسية : كالأصالة والمعاصرة والهوية والهيمنة وغيرها .

هناك جانب آخر أو إشكالية ثانية تدفع قضية توطين هذه النظريات تتمثل في تبدل هذه النظريات وتحولها على نحو سريع فما تكاد تبرز نظرية حتى توجد لها أسهم شتى نقدا بل هدما – أحيانا – ثم تقوم على أنقاضها نظرية أخرى وهكذا الأمر الذي يجعل المثقف العربي والناقد الأدبي لا يكاد يلاحق تلك التطورات وبخاصة التي تصدر بغير لغته وأن هذه النظرية قد تصدر في روسيا والأخرى في فرنسا والثالثة في أمريكا وهكذا يظل الناقد يلهث وراء الجديد في هذه النظريات وتظل كل نظرية منقوصة – في تعاملها الأدبي – حتى تأتى أخرى فتهدم جانبا كبيرا من الأولى وتضيف جانبا يخصها ويبقى النقص أيضا إلى أن تأتي ثالثة وهكذا [75] وهنا نخصص كلامنا لتوطين نظرية التناص في النقد العربي .

([75]) فالنظرية الاجتماعية مثلا تعاملت مع العمل الأدبي تعاملا تاريخيا ؛ فربطت بين العمل الأدبي ، وسيرة صاحبه ، والظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بالأديب ، حتى جعلته ينتج هذا العمل فنجحت النظرية – إلى حد ما – في التعريف بالأدب وفي معرفة مراحل تطوره بيان ظواهره واتجاهاته ومعرفة طبيعة الأدب وسيرورته ، وقد اعتُمدت النظرية فترة من الزمان ، وانتقلت إلى الثقافة العربية على يد مجموعة من النقاد العرب أمثال : طه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، والعقاد ، وحفني ناصف ، وغيرهم . وكان من الممكن أن نقول بتوطين هذه النظرية لكنها حين تعرضت لانتقادات في أصلها الغربي انعكس ذلك على الفرع العربي ، ومن أبرز هذه الانتقادات : أنها تعتمد على تعليلات خارجة عن العمل الأدبي ، وأنها لا تهتم بخصوصية هذا العمل ، فهنا أصبح المشهد الثقافي مؤهلا لنشوء نظرية أخرى ، تكمل هذا النقص ، وقد توافق في هذه الفترة مد اشتراكي أشاع مفاهيم

وقد أجمع الباحثون على أن جوليا كريستيفا – بلغارية تحمل جنسية فرنسية – هي أول من وضع مصطلح التناص وهناك شبه إجماع على أن أول من أدخل هذا المصطلح إلى الثقافة العربية هو محمد بنيس – الباحث والشاعر المغربي – ثم تلاه صبري حافظ فمجمد مفتاح ثم تراسلت الدراسات حول هذا المصطلح الغربي بعد ذلك لكن تعريب هذا المصطلح ارتبط بإشكالات نقدية كثيرة وظلت معه هذه الإشكالات التي ارتبطت به منذ دخل إلى ثقافتنا قبل أن ينتقل إلينا ومنها:- إشكالية ترجمة المصطلح : تعددت الترجمات للمصطلح الواحد (enter textuality) فقد ترجمه محمد بنيس 1979م بـ " النص الغائب " ومحمد برادة 1982م بـ " التناص " وصبري حافظ 1984م بـ " التناص – الترسيب – تفاعل النصوص " ومحمد مفتاح 1985م بـ " التناص – التفاعل –

جديدة للموضوعية ، والالتزام ، والطبقية وغيرها ، واحتمى هذا المد بمفاهيم الواقعية العلمية لتقوية آلات الجدال ، وتحكيم العقل ، واستبعد الجنوح للخيال ، وجعل أسمى وظائف الأدب : أن يستخدم الأساليب الفنية ليعبر عن أفكاره التي تقنع بها ، وصارت مهمة الناقد : الوصول إلى حقيقة البعد الأيديولوجي لهذا الأديب من خلال دراسة أساليبه. لكن هذه المهمة النقدية للناقد الاشتراكي وقفت عند حدود تصنيف الأدباء أيديولوجيا فحسب . فجاءت موجة النظريات المحايثة ؛ من شكلانية ، وبنيوية ، وشعرية ، وسردية ، وسيميائية فركزت اهتمامها على العمل الأدبي ، فرارا من الالتزامات الشعبية المتعلقة بالماركسية أو غيرها ، وانعتاقا من المحاسبة التاريخية بدعوى التفرغ للأبعاد التكوينية والفنية للعمل الأدبي ؛ فسعت هذه النظريات إلى تخليص الأدب من وصاية التاريخية ، والاجتماعية ، والأيدلوجية المباشرة ، فتعاملت معه على أنه عالم خاص منغلق لا يحيل إلا على ذاته !! فكانت نظرية التناص التي دعت إلى انفتاح النص على ما سبق ، وما واكبه سواء أكان من أدب الآخرين ، أو من أدب المبدع ذاته ، حتى قال بول فاليري : ما الليث إلا بضع خراف مهضومة (ذكر هذه المقولة الدكتور / محمد غنيمي هلال في كتابه : الأدب المقارن ، دار النهضة للطباعة والنشر صـ 23 ، مصر)

التعالق النصي " وعبد الواحد لؤلؤة 1991م بـ " التناصص " ومحمد خير البقاعي 1989م بـ " التناصية " وكاظم جهاد 1991م بـ " التناص – الانتحال – الاستحواذ " وشربل داغر 1997م بـ " التناص " وسعيد يقطين 19 بـ " التناص – التفاعل النصي " . إلى جانب مصطلحات أخرى دارت بين الظهور والخفاء في المؤلفات العربية الحديثة منها : الحوارية – هجرة النصوص – الإنتاجية النصية وغيرها من المصطلحات لكن يلاحظ أن أكثر المصطلحات شيوعا هو التناص وهو الذي كتب له البقاء فصار أكثر مصطلحاتها استعمالا

2- إشكالية تذبذب المفهوم عند الغربيين وعند العرب أيضا كما كانت ترجمة المصطلح مشكلة كان مدلوله مشكلا إنْ في أرضه التي نشأ فيها أو في انتقاله إلى الثقافة العربية :

أ- في الثقافة الغربية : هو مصطلح معقد مراوغ له مفهوم ما بعد حداثي وسبب إشكال المصطلح يعود إلى أسباب متعددة تتخلص فيما يلي :

1- ارتباط التناص بمفهوم إشكالي آخر اختلف في تحديده على مر العصور وهو مفهوم النص إذ أنه من المستحيل أن نجد تعريفا محددا للنص الأدبي لأن كل مدرسة من المدارس النقدية تعرفه تعريفا خاصا بها الأمر الذي جعل رولان بارت يقر باستحالة وجود تعريف محدد للنص الأدبي وإنما يمكن أن توجد خصائص ومميزات للنص الأدبي يشترك فيها فهم المدارس الأدبية . ومع ذلك يظل النص مغلقا مراوغا يقول إمبرتو إيكو في كتابه (النص المفتوح) النص الشعري صامت مراوغ لانهائي وغير تام لا يستسلم بسهولة للقارئ والقراءة وإنما يقاومهما بأشكال شتى تبتدئ بالانغلاق وتنتهي بالمراوغة وبالتواري خلف النيات والملابسات التي تكتنف حياة مؤلفه .

2- تعدد المدارس التي تناولته بالدرس حسب اتجاهاتها : فقد تناول التناص مدارس كثيرة منها : البنيوية والتشريحية والسيميولوجية وهو أصلا نظرية ما بعد حداثية قد تناوب على دراسته حداثيون كبار من أمثال : مارك أنجينو وليون سمفل وتناوله المدرسة الشكلانية وتناولته كريستيفا ورولان بارت الذي كان مخضرما في كل المناهج التي شهدتها الساحة النقدية المعاصرة في الغرب لكن أهم المدارس التي انتصرت للتناص هي السيميائية لتركيزها في وظيفة النقد على القراءة الكاشفة لشفرات النص ونظامه الداخلي والمعايير المتحكمة في بنائه ومن منطلق تقاطعاته مع غيره من النصوص .

ب- وإذا كان هذا حال المصطلح عند الغربيين فمن الطبيعي أن يكون أكثر غموضا عند العرب فيضاف إلى ما سبق أن الترجمة لكتب الغربيين كانت تعاني مما تعاني منه جميع الترجمات كالالتزام بالترجمة الحرفية وقد يتداخل الشرح مع النص المترجم فيختلطان فلا نعرف حدود النص الأصلي من الشروح ، كما وجدنا أن الترجمة كانت عبارة عن متفرقات لا ترسم صورة للمنهج واضحة وظلت كذلك فترة من الزمان كما أن النقد العربي ظل يعتمد على المصادر والمرجعيات الغربية في تشكيل مفهوم التناص وأدواته النقدية والإجرائية ثم إن اختلاف المفهوم يختلف باختلاف المترجم وخلفيته المعرفية وفهمه الصحيح للمصطلح أو عدم فهمه له .

3- كان من نتائج اطلاع النقاد العرب على منهج التناص مناقشة حقول عربية قديمة بأدوات جديدة فهناك بعض المفاهيم التي رأى النقاد أنها تتقارب بصورة ما مع حقل التناص متوسلين بمصطلحات النقد الحديث ليبدو المفهوم أكثر ملاءمة لتحقيق شعرية النص ومن أبرز المفاهيم التي أعيد قراءتها في ضوء منهج التناص :

أ- السرقات الشعرية وقد استطاع الدارسون العرب إماطة الجانب السلبي عن السرقات والإشارة إلى الجانب المشرق منها على أنها جزء من التناص في أضيق الأقوال لقد حاول بعض النقاد إشعار القارئ العربي بالتطابق التام بين السرقات والتناص على أن بعضا آخر فرق بين المصطلحين فقد وجد الدكتور خليل الموسى بينهما ثلاثة فروق 1- على مستوى المنهج : فالسرقة تعتمد على المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني ؛ فاللاحق هو السارق ، والأصل الأول هو المبدع والنموذج الأول بينما يعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب 2- على مستوى القيمة : فناقد السرقة الأدبية إنما يسعى لاستنكار عمل السارق وإدانته في حين أن ناقد التناص يقصد إظهار البعد الإبداعي في الإنتاج 3- على مستوى القصدية : ففي السرقة تكون العملية قصدية واعية بينما في التناص تكون لا واعية[76] وإن كان التناص يدخله الوعي أيضا لكن وجدنا من النقاد من حاول تصحيح الفكرة الخاطئة عن قضية السرقات قديما كما فعل الدكتور عبد الله الغذامي حيث قال عن التناص : (نظرة جديدة نصحح بها ما كان الأقدمون يسمونه بالسرقات أو وقع الحافر على الحافر بلغة بعضهم)[77] ووجدنا من النقاد (وهو الدكتور عبد الملك مرتاض في بحثه : فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص) وقد وصفها بأنها شبه نظرية قديمة تحتاج إلى إعادة بناء وقراءة بأدوات تقنية جديدة وقال في نهاية بحثه : (فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص عن التناصية هي : (تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى وهذه الفكرة كان

([76]) التناص والأجناسية في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبي ، عدد 205 ، أيلول/ سبتمبر 1996م ، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص 83.

([77]) الخطيئة والتكفير ص56 ، وينظر أيضا : أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر : دراسات في تأويل النصوص ، د/ حافظ المغربي ص72 وما بعدها ، ط النادي الأدبي بحائل ، ط1 ، 2010م .

الفكر النقدي العربي عرفها معرفة معمقة تحت شكل السرقات الشعرية)[78] وكذلك فعل الدكتور محمد عبد المطلب في بحث له بعنوان : (التناص عند عبد القاهر الجرجاني)[79] الذي وسعه بعد ذلك وجعله كتابا بعنوان : (قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني) .

ب- المعارضات الشعرية : وقد احتلت المرتبة الثانية بعد السرقات الأدبية في الحقول النقدية القديمة التي ارتحلت إليها التناصية وهي من الأمور التي عدها صبري حافظ – مشتركة مع الاقتباس والتضمين – محملة بتلك الملامح [80] وكذلك تناولها الدكتور عبد الله التطاوي في بحث يحمل عنوان المعارضات الشعرية... أنماط وتجارب [81]

ج- الاقتباس والتضمين أدخلهما صبري حافظ ورجاء عيد وأحمد الزعبي وغيرهم في التناص واعتبروهما نماذج من التناص يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق .

إن محاولة كثير من الدارسين العرب المحدثين للإسهام في الربط بين مصطلح التناص والمصطلحات القديمة هو تفعيل للتواصل الفكري بين القديم والحديث .

4- تحولت بعض الدراسات العربية للتناص إلى نوع عصري من نقد المصادر والتأثيرات (وما أكثر العناوين التي تحمل مصطلح التناص وإذا قمت بقراءتها سوف تدرك على الفور أنك تواجه ممارسة تقليدية في مجملها وفي أغلب الأحيان يعتقد

([78]) مجلة علامات ، عدد1 ، مايو 1991م . صـ69-93 .
([79]) مجلة علامات ، الجزء الثالث ، المجلد الأول ، مارس 1992 ، صـ 49 – 99 .
([80]) التناص وإشاريات العمل الأدبي ، مجلة ألف ، عدد4 ، 1984م
([81]) دار قباء للطبع والنشر والتوزيع 1998م

البعض بأن مصطلح التناص مصطلح ينتمي إلى السيميوطيقا البنيوية فيمارس تحليل النصوص بوصفها بنية منغلقة على نفسها وإن وجد إشارة في النص هنا أو هناك مارس نوعا من نقد المصادر ليرد هذه الإشارة إلى أصلها الذي انبثقت عنه وعندما يقوم بذلك يتوهم أنه مارس فكرة التناص في نقد النصوص [82] .

5- عمل بعض الباحثين العرب على تطوير المفهوم وإغنائه وقد كان د/ محمد مفتاح من أكثر الدارسين عملا على تطوير مفهوم التناص في كتبه ففي كتابه : تحليل الخطاب الشعري يقول عن تعريف التناص : (لقد حدده باحثون كثيرون مثل " كريستيفا وأريفي وريفاتير ولورانت ... " على أن أي واحد من هؤلاء لم يصغ تعريفا جامعا مانعا ولذلك فإننا سنلتجئ – أيضا – إلى استخلاص مقوماته من مختلف التعاريف المذكورة) [83] فقد عمد إلى جمع ما تفرق وهذه المرحلة أولى مهمة عندما ننظر إلى تاريخ كتابتها 1985م فهو لا يتعامل مع المصطلح تعاملا ناقلا وإنما يعمل عقله ويجمع أشتات التعريفات ليخرج بتعريف واحد . ثم يتطور الأمر بعد ذلك في كتاب آخر له هو كتاب : (المفاهيم معالم) فنجده يخالف أصحاب النظرية ويزيد عليهم فقد حدد درجات التناص وجعلها ستا مخالفا بذلك كريستيفا وجيني اللذين قدما ثلاث درجات للتناص فحسب والدرجات الست عنده هي : 1- التطابق (في النصوص المستنسخة) . 2- التفاعل (نتيجة تفاعل نص مع نصوص أخرى) 3- التداخل (وهو تداخل النصوص بعضها في بعض في فضاء نصي عام) 4- التحاذي (وهو المجاورة أو الموازاة في فضاء مع محافظة كل نص على هويته وبنيته ووظيفته) 5- التباعد (وهو

([82]) التناص النظرية والممارسة ، د/ مصطفى بيومي صـ190-191 ط/ النادي الأدبي بالرياض ، ط1 ، 2010م .

([83]) تحليل الخطاب الشعري صـ120-121 .

التحاذي الشكلي والمعنوي والفضائي وقد يتحول إلى تباعد شكلي ومعنوي وفضائي) 6- التقاصي (وهو يقوم على التقابل بين النصوص الدينية والنصوص الفاجرة السخيفة على سبيل المثال) [84] وكذلك نجد ممن طور المفهوم سعيد يقطين إذ إنه – في انفتاح النص الروائي – يقسم موضوعه إلى قسمين أولهما تقديم نظري للتناص و ثانيهما مفهومه الخاص للمفهوم فتبنى مفهوم التفاعل النصي لأنه أعم من التناص ولأنه يمكّن من البحث في أنواع التفاعلات وفي أشكال اشتغالها داخل النص وأبعادها الدلالية وقد قدم تصورا خاصا به عن التفاعل النصي بيد أننا نلاحظ في مشروعه النقدي ما يلي :

1- أنه يسعى لإقامة مشروع نقدي شامل يختص بالمجال السردي دون سواه من أوجه الإبداع الأخرى وذلك واضح من خلال عنوانات كتبه .

2- ربطه بين الإبداع السردي العربي الجديد وماضيه أي أنه يربط بين السرد الجديد والتراث السردي العربي القديم الذي يتفاعل معه فانطلق من حضور الجنس الأدبي التراثي في الرواية العربية الحديثة ومدى تأثيره في تأطير بنيتها الروائية

3- أضاف نوعا جديدا من التفاعلات النصية إلى ثلاثة الأنواع التي اشتغل عليها في كتابه : انفتاح النص الروائي وهي المناصة والميتانصية والتناص فأضاف : المتعلق النصي وهو ما تتعلق به التفاعلات النصية التي تتراوح بين أجناس سردية مختلفة لجنس التاريخ أو جنس الروية الشعبية أو جنس السيرة الشعبية أو غيرها .

4- أنه يقوم بضبط مصطلحاته التي يستعملها ضبطا علميا صارما محددا دلالاته عند مجموعة من السرديين أو السيميوطيقيين ليخلص إلى تقديم رأيه الخاص وفق

([84]) المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي صـ47 بتصرف المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت ،1999م .

رؤية شمولية ذات كفاءة إجرائية عالية ويمكن التمثيل لذلك بتفريقه بين السرد والحكي في كتابه : قال الراوي [85]

5- انطلق في طرحه لمفهوم التناص (التفاعل النصي) من حوارية باختين لمقاربة مفهوم التناص على الرغم من أن باختين لم يستخدم مصطلح التناص ولكنه أسس له نظريا في كتاباته وبخاصة في كتابه الأشهر : شعرية دستوفسكي ولكنه تكلم كثيرا عن مصطلح الحوارية فهل الحوارية عند يقطين والتناص تحيلان على مفهوم واحد ؟ وإذا كانت كذلك فلماذا انطلق من التناص ؟ ولماذا لم يفد أن التناص والحوارية شيء واحد ؟ إنني أرى أن حضور تصور باختين للتناص المتمثل في الحوارية بحاجة إلى مثل هذه التساؤلات في فكر سعيد يقطين .

وإلى جانب تطوير المفهوم من محمد مفتاح وسعيد يقطين يوجد هناك كثيرون ممن أسهموا في هذا الباب ولابد من الإشارة إلى فكرة جيدة أشار إليها عز الدين المناصرة في كتابه : علم التناص المقارن نحو منهج عنكبوتي تفاعلي حيث ينادي بمنهج عنكبوتي يربط الكلمات بارتباطات تشعبية تحيل إلى معلومات مرتبطة أخرى كثيرة . إلى إضافات كثيرة أضافها النقاد العرب إلى منهج التناص .

6- اتساع مفهوم التناص وحمولته الدلالية وعدم ضبط معناه وحدود اشتغاله في الثقافة العربية : فأبرز ملامحه اللانهائية وعدم البراءة وميخائيل باختين يقرر أن الكاتب يتطور في عالم مليء بكلمات الآخرين وأنه ليست هناك كلمة بريئة سوى كلمات أبينا آدم – عليه السلام – وحين دخل ثقافة العرب دخل بدلالاته الفضفاضة فالرمز لا يحيل إلى شيء محدد بل يحيل إلى رمز آخر والرمز الآخر يحيل إلى ثالث وهكذا إلى مالا نهاية وبالتالي ندور في حلقة مفرغة يستحيل معها

([85]) قال الراوي : البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، صـ 10 ، المركز الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، 1997م .

الوصول إلى معنى نهائي وهذا يخالف البنيوية التي قامت على ركيزتين : أ- وجود علاقة عضوية بين الرمز ومعناه . ب- الفصل بين الموضوع وذاتية الناقد وقد دخل حيز التناص ما يقارب ثلاثين أو أربعين مصطلحا من المصطلحات التراثية العربية .

7- ظهرت إشكالية أخرى في توطين التناص تدور حو ل صعوبة الكشف عن أشكال التناص في نصوص الشاعر – سواء منها ما كان خفيا أو ظاهرا – لأن ذلك يتطلب معرفة بجميع المرجعيات النصية وغير النصية التي تستدعيها تجربة الشاعر أو تمتصها في نسيج بنيتها أو تحيل إليها في سياق الرؤية الشعرية والجمالية التي تقدمها تجربته على مستوى علاقته مع ذاته أو العالم المحيط به أو الأشياء التي يتعامل معها وهي رؤية متصلة بالذات الوطنية والوطن والأرض والتاريخ والإنسان على مستويات عدة : وجودي وسياسي ووجداني من خلال وعي الذات الجمالي المنفتح على تجربتها وهذا يستدعي ثقافة من الناقد لا مثيل لها حتى يكتشف أشكال التناصات التي وقعت في شعر الشاعر أو رواية الراوي أو سرد الحاكي أو ... إلخ .

8- ينبغي التنبيه إلى إشكالية أخرى عن توطين التناص تتمثل في بعض المحاذير الشرعية وتتلخص فيما يلي : أ- أن النظريات الغربية في معظمها تأسست في إطار فلسفات تدعو إلى نبذ الماورائيات ولا تؤمن بالميتافيزيقا ولا تعرف إلا ما تراه ولعل فكرة موت المؤلف لتحل محله حياة القارئ كما نادى بذلك رولان بارت تعود إلى تبني فلسفة إنكار الآخرة وإذا وافقنا عليها في ثقافتنا العربية فإننا سنطبق ذلك على الشعر ولا غضاضة ولكن إذا درسنا القرآن الكريم في ضوئها فماذا سنقول ؟ القرآن قابل للدرس كغيره من النصوص صحيح أن فكرة موت المؤلف جاءت رد فعل على

النزعة الرومانسية التي أعلت من سلطة المؤلف لكنها فكرة تهدف إلى إبعاد القارئ عن المنظومات المنهجية الخارجية أثناء تأويل النص الأدبي وهذا مقبول لكن نبذ الماورائيات مرتبط بالفلسفة الغربية عموما وبفكرة ما بعد البنيوية خصوصا وبفكر رولان بارت على وجه أخص وهذا يدعونا إلى أن ننحاز لهويتنا وقيمنا الروحية وثقافتنا التي أسسها لنا نص أصلي لا مثيل له هو القرآن الكريم .

ب– مقولة تساوي الخطابات التي نادى بها البنيويون والتناصيون كما شبهها المثل الفرنسي كالقطط تبدو في الليل البهيم رمادية تخفي هذه المقولة في عمقها بعدا أيديولوجيا ناسفا لكل ما هو مقدس ولابد أن ننتبه لذلك عند تعاملنا – نحن الشرقيين – معها لأنها تساوي بين القرآن الكريم و أي نص بشري فيجري عليه ما يجري على النص البشري .

ففي القول بموت المؤلف – ولو إجرائيا – إلحاد وفي مقولة تساوي الخطابات قتل لإعجاز القرآن الكريم ومن هنا وجب الحذر عند التعامل مع هذه الفلسفات التي بنيت عليها نظريات أدبية نشأت في بيئة غير بيئتنا ورضعت لبان الإلحاد وموت العقيدة .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع تراث العرب المحدثين في منهج التناص وقد قارب البحث على الانتهاء نحمد الله العلي الكبير على توفيقه ، ونشير إلى أن البحث حاول أن يعالج منهج التناص في الثقافة العربية المعاصرة وبخاصة عند النقاد وقد تطلب ذلك منا تمهيدا يحدد : ما التناص ؟ سواء في الثقافة الغربية أو الثقافة العربية وكيف تحول المصطلح لمنهج وكيف نزح إلى أراضينا العربية ؟ ثم إننا في صلب البحث قسمناه إلى **أربعة مباحث** أولها **مناهج النقاد العرب المحدثين في تناوله** وقد توصل البحث إلى أن مناهج النقاد قد انشعبت إلى ثلاثة أقسام : قسم جعل التراث منطلقا لدراسة النص فأحيا المفاهيم التراثية ليقابل بها مفاهيم النظرية الغربية، وقسم دخل إلى النظرية الغربية فقصر عمله النقدي عليها في الغرب ، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما قد يكون موجودا من التشابه بينها وبين بعض المصطلحات العربية ، وثالث جمع بين الترجمة والدراسة حول التناص . وقد دار كل منهج من المناهج السابقة حول أحد محورين : الأول نظري والثاني تطبيقي . وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن الجانب النظري اتسم بالاجترار والتكرار ؛ إذ إن مرور الزمن استهلك الجانب النظري للتناص فقد قام أوائل النقاد العرب المحدثين بالنقل عن الغربيين فيه ، وتكرر عند كل من كتب في التناص أن يتناول التناص عند الغربيين ، ثم عند العرب قدماء ومحدثين ، وصار ذلك سمة في كتب التناص كلها أو على الأقل معظمها في الجانب النظري .

وأما **المبحث الثاني** : **خصائص التأليف في التناص في العربية** ، وقد توصل البحث – بفضل الله – إلى تمييز عدة خصائص لعل أهمها :

أ- تميّز الفترة الأولى من التأليف في التناص بأنها مرحلة صراع لامتلاك المصطلحات وترجمتها أكثر من إرادة البحث عما بين هذه المصطلحات الجديدة وبين تراثنا من وشيجة .

ب – أن الدارسين المغاربة أسرع من الشرقيين في التواصل مع المناهج الغربية ومنها التناص ويعود ذلك التواصل السريع إلى الاهتمام المغربي بكل ما هو جديد في الثقافة الغربية .

ج –أن الدراسين العرب لم يلتزموا رأيا واحدا في مقابل التناص في الثقافة العربية فبعضهم جعله مقابلا للسرقات ، وبعضهم جعله مقابلا للمعارضات الشعرية ، وبعضهم للنقائض ، وبعضهم للاقتباس والتضمين ... إلخ .

وفي **المبحث الثالث : التناص بين الشعر والرواية** كان الحديث عن قضية الأجناس الأدبية وعلاقة التناص بها فقدمنا بمقدمة عن الأجناس الأدبية وما بينها من اتصال وانفصال ، وهل هناك ما صار يعبر عنه بتداخل الأجناس الأدبية ، ثم إننا أشرنا إلى أن بين الأجناس الأدبية يثير أسئلة عديدة منها : ألا يمثل التداخل نوعا من التعالي النصي ؟ ألا يخلق التداخل نوعا من التهجين الإستطيقي و التناصي ؟ ألا يعمل هذا التداخل على اكتساب خصائص شكلية وبنيوية جديدة؟ ألا يعمل النص الهجين على كسر مألوفية النص الموروث ؟ ألا يهدد هذا التداخل التلقي وأشكاله ؟ ... إلخ . الأسئلة التي تثار من جراء تداخل الأجناس الأدبية ، ثم إننا طرحنا سؤالا آخر في قضية الأجناس الأدبية مؤداه : أي الأجناس أولى بقضية التناص أو بلفظ آخر أي الأجناس يتبدى فيه التناص أكثر من الأجناس الأخرى ؟

وفي **المبحث الرابع : التناص في النقد العربي المعاصر من التعريب إلى التوطين : رؤية تقويمية.** وقد تحدثت عن محاولة توطين النظريات الجديدة في النقد

العربي المعاصر وأشرت إلى أن ثمة سؤالا مطروحا هو : إلى أي حد استطاعت النظريات الغربية أن تنال إقامة في بلادنا العربية ؟ وهل نستطيع أن نمنحها شهادة جنسية (أو صفة مواطنة) حتى تصير منا ؟

وقد أثبتت دراستنا لهذا المبحث عدة نتائج منها :

1. أنه كان من نتائج اطلاع النقاد العرب على منهج التناص مناقشة حقول عربية قديمة بأدوات جديدة فهناك بعض المفاهيم التي رأى النقاد أنها تتقارب بصورة ما مع حقل التناص متوسلين بمصطلحات النقد الحديث ليبدو المفهوم أكثر ملاءمة لتحقيق شعرية النص كقضية السرقات الأدبية والمعارضات الشعرية والاقتباس والتضمين وغيرها.
2. أن بعض الباحثين العرب عمل على تطوير المفهوم وإغنائه وقد كان د/ محمد مفتاح من أكثر الدارسين عملا على تطوير مفهوم التناص في كتبه وكذلك سعيد يقطين وبشير القمري وغيرهم .
3. من إشكاليات توطين التناص :

أ- صعوبة الكشف عن أشكال التناص في نصوص الشاعر – سواء منها ما كان خفيا أو ظاهرا – لأن ذلك يتطلب معرفة بجميع المرجعيات النصية وغير النصية التي تستدعيها تجربة الشاعر أو تمتصها في نسيج بنيتها أو تحيل إليها في سياق الرؤية الشعرية والجمالية التي تقدمها تجربته على مستوى علاقته مع ذاته أو العالم المحيط به أو الأشياء التي يتعامل معها .

ب- كذلك كان ينبغي التنبيه إلى إشكالية أخرى عن توطين التناص تتمثل في بعض المحاذير الشرعية كقضية موت المؤلف وتساوي الخطابات ونبذ الماورائيات الذي تنبني عليه الثقافة الغربية.

ت- ارتباط التناص بمفهوم إشكالي آخر اختلف في تحديده على مر العصور وهو مفهوم النص إذ أنه من المستحيل أن نجد تعريفا محددا للنص الأدبي ؛ لأن كل مدرسة من المدارس النقدية تعرفه تعريفا خاصا بها الأمر الذي جعل رولان بارت يقر باستحالة وجود تعريف محدد للنص الأدبي وإنما يمكن أن توجد خصائص ومميزات للنص الأدبي يشترك فيها فهم المدارس الأدبية .

ث- اتساع مفهوم التناص وحمولته الدلالية وعدم ضبط معناه وحدود اشتغاله في الثقافة العربية : فأبرز ملامحه اللانهائية وعدم البراءة وميخائيل باختين يقرر أن الكاتب يتطور في عالم مليء بكلمات الآخرين وأنه ليست هناك كلمة بريئة سوى كلمات أبينا آدم – عليه السلام – وحين دخل ثقافة العرب دخل بدلالاته الفضفاضة فالرمز لا يحيل إلى شيء محدد بل يحيل إلى رمز آخر والرمز الآخر يحيل إلى ثالث وهكذا إلى مالا نهاية وبالتالي ندور في حلقة مفرغة يستحيل معها الوصول إلى معنى نهائي .

ج- أن النظريات الغربية في معظمها تأسست في إطار فلسفات تدعو إلى نبذ الماورائيات ولا تؤمن بالميتافيزيقا ولا تعرف إلا ما تراه ولعل فكرة موت المؤلف لتحل محله حياة القارئ كما نادى بذلك رولان بارت تعود إلى تبني فلسفة إنكار الآخرة وإذا وافقنا عليها في ثقافتنا العربية فإننا سنطبق ذلك على الشعر ولا غضاضة ولكن إذا درسنا القرآن الكريم في ضوئها فماذا سنقول؟ .

كذلك مقولة تساوي الخطابات التي نادى بها البنيويون والتناصيون كما شبهها المثل الفرنسي كالقطط تبدو في الليل البهيم رمادية تخفي هذه المقولة في عمقها بعدا أيديولوجيا ناسفا لكل ما هو مقدس ولابد أن ننتبه لذلك عند تعاملنا – نحن الشرقيين – معها لأنها تساوي بين القرآن الكريم و أي نص بشري فيجري عليه ما يجري على النص البشري .

ففي القول بموت المؤلف – ولو إجرائيا – إلحاد وفي مقولة تساوي الخطابات قتل لإعجاز القرآن الكريم ؛ ومن هنا وجب الحذر عند التعامل مع هذه الفلسفات التي بنيت عليها نظريات أدبية نشأت في بيئة غير بيئتنا ورضعت لبان الإلحاد وموت العقيدة .

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

- الأدب المقارن ، د / محمد غنيمي هلال ، دار النهضة للطباعة والنشر ، مصر)
- أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها : ما هو التناص ، كاظم جهاد ، صدر في منشورات إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1991م ، ط1.
- أسئلة الرواية أسئلة النقد ولغة الطفولة والحلم : قراءة في ذاكرة القصة المغربية ، د / محمد برادة ، منشورات الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ،1986م .
- أشكال التناص وتحولات الحطاب الشعري المعاصر : دراسات في تأويل النصوص ، د/ حافظ المغربي ، ط النادي الأدبي بحائل ، ط1 ، 2010م .
- إشكالية المفهوم علي المستويين النظري والتطبيقي ، د / بشير القمري ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد يناير (كانون الثاني) 1989م .
- آفاق التناصية ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة د / محمد خير البقاعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1998م .
- أفق الخطاب النقدي دراسات نظرية وقراءات تطبيقية ، د / صبري حافظ ، دار شرقيات ، القاهرة ، ط1 ، 1996م.
- تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص، د / محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، عام 1985م .
- تداخل النصوص في الرواية العربية بحث في نماذج مختارة ، د / حسن حماد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، 1998م .
- التفاعل النصي (التناصية) النظرية والمنهج ، نهلة فيصل الأحمد ، سلسلة كتاب الرياض ، السعودية ، عدد104 ، 2002م.

- التناص ، سومفيل ، ترجمة : د / وائل بركات. مجلة علامات ، العدد 21 ، مجلد 6 ، سبتمبر 1996م . .
- التناص التاريخي والديني : مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية في رواية : رؤيا لها لهاشم غرايبة ، د / أحمد الزعبي ، مجلة أبحاث اليرموك ، عدد 1 ، ص ص 169 – 200 ، 1995م .
- التناص التراثي في : حدث أبو هريرة قال ... لمحمود المسعدي ، رسالة ماجستير من إعداد : زهرة خالص ، جامعة الجزائر ، 2006م .
- التناص الشعري : قراءة أخرى لقضية السرقات ، د / مصطفى السعدني ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط1، 1991م .
- التناص النظرية والممارسة ، د/ مصطفى بيومي ، ط/ النادي الأدبي بالرياض ، ط1 ، 2010م .
- التناص بين النظرية والتطبيق : شعر البياتي نموذجا ، د / أحمد طعمة حلبي ، صدر في الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2007م .
- التناص عند عبد القاهر الجرجاني ، د / محمد عبد المطلب ، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي بجدة ، مج1 ، ج3 ، ربيع الآخر 1412هـ / 1992م.
- التناص وإشاريات العمل الأدبي ، د/ صبري حافظ ، ضمن مجلة ألف الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، العدد الرابع ، ربيع 1984م.
- التناص والأجناسية في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبي ، ع205 ، أيلول 1996م ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .
- التناص ومرجعياته في نقد ما بعد البنيوية في الغرب ، د / أحمد الموسى ، مجلة الآداب العالمية الصادرة عن اتحاد الكتاب العربي ، العدد 143 ، صيف 2010م .

- التناصية والنقد الجديد ، ليون سوموفيل ، ترجمة / وائل بركات ، مجلة علامات ، عدد أيلول ، 1996م ، جدة ، السعودية .
- حداثة السؤال بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة ، محمد بنيس ، ط 2 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت والدار البيضاء ، 1988م .
- الخطاب الروائي ، ميخائيل باختين ، ترجمة / محمد برادة ، دار الفكر ، القاهرة ، 1987م .
- الخطيئة والتكفير ، عبد الله الغذامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 4 ، 1998م.
- دراسات في تعدي النص ، وليد الخشاب ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 1994م .
- درجة الصفر للكتابة ، رولان بارت ، محمد برادة ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، الرباط ، 1981م .
- الشعر العربي الحديث : بنياته وإبدالاتها – الشعر المعاصر ، محمد بنيس ، دار توبقال ، المغرب ، ط3 ، 2003م.
- الشعرية ، تودوروف ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1987م.
- شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات ، بشير القمري ، شركة البيادر للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1991م .
- شعرية دستوفسكي ، مخيائيل باختين ، ترجمة / جميل نصيف التكريتي ، دار توبقال المغرب 1986م .

- طرائق تحليل السرد ، مجموعة من المؤلفين الأجانب ، وترجمة عدد من المؤلفين العرب منهم بشير القمري ، صادر عن اتحاد كتاب المغرب ، المغرب ، الرباط ، 1992م .
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب دراسة بنيوية تكوينية ، محمد بنيس ، دار التنوير، بيروت ، ط2 ، 1985م .
- علم التناص المقارن : منهج عنكبوتي تفاعلي ، د/ عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2006م .
- علم النص ، جوليا كريستيفا ، ترجمة فريد الزاهي . مراجعة: عبد الجليل ناظم ، دار توبقال – المغرب ، الطبعة الثانية – 1997
- عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحقيق د / عبد العزيز بن ناصر المانع ، دار العلوم للطباعة والنشر ، 1985م .
- فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناص ، عبد الملك مرتاض، مجلة علامات ، عدد 1 ، مايو 1991م .
- في أصول الخطاب النقدي الجديد ، مارك أنجينو ، ترجمة أحمد المديني ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987م .
- قال الراوي : البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، د/ سعيد يقطين ، المركز الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، 1997م .
- قراءات في الشعر الحديث والمعاصر ، خليل الموسى .، اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، 2000م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية ، القاهرة 1995 .

- لذة النص رولان بارت ، ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان ، دار توبقال المغرب 1988م .
- الماركسية وفلسفة اللغة ، ميخائيل باختين ، ترجمة / محمد البكري ويمنى العيد ، دار توبقال ، المغرب ، 1986م .
- المبدأ الحواري ، دراسة في فكر ميخائيل باختين ، تودوروف ، ترجمة فخري صالح دار الشؤون الثقافية العامة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، 1996م .
- المتخيل السردي : مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1، 1990م.
- مجلة ألف المصرية الصادرة عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، العدد الرابع ، ربيع 1984م .
- مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، عدد كانون الثاني (يناير) 1989م .
- مدخل لجامع النص ، جيرار جينيت ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، دار توبقال ، المغرب ، 1986م .
- المسبار في النقد الأدبي :(دراسة في نقد النقد للأدب القديم وللتناص) ، د / حسين جمعة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003م .
- المعارضات الشعرية ... أنماط وتجارب ، د / عبد الله التطاوي ، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع 1998م
- المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث العربي ودلالاتها ، د/ حمادي صمود ، بحث مقدم ضمن أعمال ندوة : قراءة جديدة لتراثنا النقدي 1988م ، النادي الثقافي الأدبي ، جدة ، السعودية المجلد الآخر ص ص 609-640 .

- المفاهيم معالم : نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت،1999م .
- النص الغائب : تجليات التناص في الشعر العربي ، د / محمد عزام ، اتحاد الكتاب العرب ، 2001م .
- نظرية التناصية ، بيير مارك دوبيازي ، د / الرحوتي عبد الرحيم ، مجلة علامات عدد أيلول ، 1996م ، جدة السعودية .
- قراءات في الأدب والنقد : الليث والخراف المهضومة ، د / شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000م .
- نحو التلقي الحواري : مقاربة لأشكال تلقي كتابات ميخائيل باختين في السياق العربي ، د. معجب بن سعيد الزهراني ، جامعة الملك سعود ، الرياض 1423هـ = 2002م
- رحلة التناصية إلى النقد العربي القديم، علامات في النقد، مجلد11، ع44 (ربيع الآخر 1423، يونيو 2002)، ص ص 43 – 76 .
- مظاهر التناص الديني في شعر أحمد مطر ، عبد المنعم محمد فارس سليمان ، رسالة ماجستير منشورة على الشبكة الدولية ، http://www.najah.edu/thesis ، **2005** م.

المقالات :

- اشتغال التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة في المصطلح ، د. بقشى عبد القادر، مقال على الشبكة الدولية ، من موقع : www.almaktabah.net بتاريخ :18 / 1 / 2010م .

- أشكال التناص في مجموعة (أقرب من الأصدقاء..أبعد من الخصوم ، د.نزار بريك هنيدي ، من موقع fedaa.alwehda.gov.sy/_archive ، بتاريخ : 18-8-2009 .
- إشكالية المصطلح النقدي (مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً) أ.ميلود عبيد منقور ، من موقع : www.dahsha.com/old/viewarticle.
- آليات التناص ، د/ جميل حمداوي ، مقالة على موقعه على الشبكة الدولية internet. من موقع :
www.arabworldbooks.com/.../jamil_hamdaoui.ht
. m
- آلية تلقي النص الشعري العربي القديم في ضوء المنهج النقدي السيميائي " ، رضا عامر ، الجزائر ، http://pulpit.alwatanvoice.com ، 26-08-2010 .
- تجليات التناص في " سنوقد ما تبقى من قناديل" لعبد الغفور خوى ، محمد يوب، http://matarmatar.net . **07-14-2010** .
- تجليات التناص في الشعر العربي القديم ، محمد مصابيح ، بتاريخ : **26-08-2009** ، http://nashiri.net/component/ijoomla_archive .
- تداخل النص بين القديم والجديد . د.عبد الرحيم الخلادي ، من موقع : http://www.anfasse.org ، 10مارس 2010 .
- تشاكل / تباين التناص ، لحسن عزوز ، http://azzouzlahcen.jeeran.com ، 26 آذار (مارس) 2011

- التضمين والاقتباس (التناصّ) في الشعر الفصيح والشعبي (١- ٢) ، عبدالله الجعيثن ، http://www.bnitamem.com ، 05-04-2010
- التفاعل النصي : انفتاح النص الرائي ، د/ المصطفى الدقاري ، مقال على الشبكة الدولية بتاريخ 2010/9/9 م ،من موقع الجمعية المغربية للغويين والمبدعين .
- التناص .. استراتيجية نقد ، مينا عبد الله ، http://montada.arahman.net، 22-01- 2008.
- التناص ، أحمد عادل القضابي ، http://qudapy.maktoobblog.com ، 15 ديسمبر 2010
- التناص القرآني، والتقمّص النبويّ في : "امرأة ليس وقتها الآن ، محمد عفيفي مطر " ، أحمد كريم بلال ، http://www.diwanalarab.com ، ٨ آب (أغسطس) ٢٠١٠.
- التناص بوصفه ممارسة : مراجعة لمنجز الرواية العربية 1 ، 2 ، د / معجب العدواني ، مقال منشور بجريدة الرياض السعودية بتاريخ 2009/12/21م .
- التناص بين الاقتباس والتضمين الوعي واللاشعور ، مفيد نجم ، مقال من موقع رابطة الواحة ، تاريخ 2005/5/14م . ونشرته قبل ذلك جريدة البيان الإماراتية قد نشرته بتاريخ 2001/1/28م .
- التناص في الشعر العربي ، د / جودت إبراهيم ، http://ouruba.alwehda.gov.sy بتاريخ : 18-11- 2008 .

- التنـــــــاص في اللغـــــــة والأدب ، محمـــــــد الســـــــاعدي ، http://webcache.googleusercontent.com ، 14-05-2004 .
- التناص في النقدين الغربي والعربي ، محمد بكاي التلمساني ، منشور في موقع تخاطب ، بتاريخ 2010/9/20.
- التناص في رواية "أسرار صاحب الستر لإبراهيم درغوثي" ، أمين عثمان، http://www.diwanalarab.com ، 20 (أبريل) ٢٠١٠ .
- التناص في ظل سلطة النص ، بقلم : محمد مصابيح ، مقال منشور على موقع الجمعية الدولية الحرة للمترجمين واللغويين العرب ، بتاريخ 2010/3/3م .
- التناص.. مصطلح نقدي أوجده الشكلانيون الروس ، مصطفى بطحيش ، http://www.rabitat-alwaha.net ، 13 – 12 – 2005 م
- جهـــود العـــرب المحـــدثين في التناصـــية ، معجـــب ســـعيد العـــدواني ، http://faculty.ksu.edu.sa ، 3/24/2008 .
- حضور النص القرآني في الشعر أهو تناص أم اقتباس ؟ ، أحمد بلحاج آية وارهام ، http://awabbelhaj.jeeran.com ، بتاريخ 2007/2/10م .
- حول المشروع النقدي – الإبستمولوجي عند الدكتور سعيد يقطين الدقة في المنهج والرحابة في التأويل ، نور الدين محقق ، http://maamri-ilm2010.yoo7.com ، بتاريخ 21 ديسمبر 2006م .
- شعرية التناص بين الموروث والآني قراءة في "أندلسيات" بشرى البستاني.. د. نوار عبد النافع الدباغ ، http://bbustani.wordpress.com .
- ظـــاهرة التنـــاص في الأدب العـــربي ، **عمّـــار أبـــو عابـــد** ، http://www.arabicstory.net ، 5 (إبريل) 2009 .

- الفروق بين الأجناس الأدبية : المسرح الشعر – الرواية ، فؤاد أحمد البراهيم ، جريدة الوفاق ، 2238 ، بتاريخ 2005/4/9 م .
- لماذا النص الموازي؟ جميل حمداوي ، http://www.arabiancreativity.com ، 23 آب (أغسطس) 2006 .
- ماهية التناص : قراءة في إشكاليته النقدية ، عبد الستار جبر الأسدي ، http://membres.multimania.fr .
- مرجعيات التناص عربية ، د / إياد السلامي ، http://fnonarabia.com ، 05-22 - 2009.
- مصطلح التناص والـ"إبيجرام" ، محمد نجيم ، http://www.google.com.sa ، 10/13/ 2009م .
- مفهوم التناص – التفاعل النصي في النقد الروائي المغربي ، مصطفى الدقاري ، http://www.airssforum.com ، 03-13-2009،
- مفهوم النص: من الحقيقة المجردة إلى الحقيقة الممكنة للدكتور محمد الداهي ، http://www.google.com.sa ، 1-09-2007.
- من الانفتاح إلى المغامرة التَّناص الشِّعري بين خلات أحمد و نارين عمر ، صبري رسول ، http://www.mrafee.com ، 5-26-2009 .
- النص الإحيائي والأصول (محاولة لفهم التناص في قصيدة الأمير عبد القادر) ، عباس بن يحي ، http://www.awtad.net .
- النص والنص الموازي : قراءة في : " أفول الظلام " ، قيس الهمامي ، http://www.menalmuheetlelkaleej.com ، 12- 3 – 2008م .

- نظرية التناص ، ب.م.دوبيازي ، تعريب : المختار حسني ، http://www.aljabriabed.net .
- نظرية التناص ، عبد الرشيد حاجب ، وهو منشور على موقعه بتاريخ 2009/2/16م .
- نظرية التناص في النقد الأدبي المعاصر، أحمد أنيس حسون ، وهو مقال منشور على موقع : ملتقى الأدباء والمبدعين بتاريخ 2009/6/1م .
- نظرية التناص في النقد العربي ، أحمد عبدالزهرة الكعبي ، http://adadab.maktoobblog.com ، 8 تشرين الأول 2006
- نظريّة التناصّ: الماهيّة والإشكاليّة..عبدالملك مرتاض ، جريدة الوطن السعودية ، بتاريخ 13 من يناير 2009م .
- النقد المغربي والمناهج العلمية المعاصرة : من الاستقدام إلى الاستخدام ، محاولة لقراءة "دينامية النص" لمحمد مفتاح ، فريد أمعضشو ، المغرب ، http://www.arabicnadwah.com .
- النص/القارئ /المنهج: مقاربة نظرية ، د/ حسين فيلالي ، جامعة بشار ، الجزائر. http://sahem-heithem.forumfreek.com ، 07 أبريل 2010 .